كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الاول

﴿ سيرته السيفية ﴾

قال ابو تمام

من الناس ميتٌ وهو حيٌّ بذكره * وحيٌّ سليمٌ وهو في الناس ميتٌ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بالمطبعة التجارية ــ غرزوزي وجاويش ــ بالاسكندرية
سنة ١٩٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما . وانفذ في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما . له الملك الذي ليس له ابتداء . ولا لمدده وامده انقطاع وانتهاء . وله الخلق والامر وبيده النفع والضر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهض باعباء الرسالة . ومالك ازمة المجد والجلالة قائد جيوش النبوة . وعاقد لواء البسالة والفتوة . وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه . وناضلوا من حاد عن سنته بالسيوف والاسنة . وبذلوا نفيس الانفس في محبته . ومن اقتفى آثارهم في نصرة دينه من امته . الى يوم الدين آمين . (اما بعد) فيقول الفقير الى مولاه الغني . ✻محمد ابن الامير عبد القادر الحسني✻ . سدد الله عمله . وبلغه ما رامه وامله . بينما شمس سماء سيادتنا في افق المغرب الاوسط طالعة . واشعة انوارها على رياض اقطاره ساطعة . وربوعنا باهل الفضل معمورة . وقصادنا بانواع المواهب مغمورة . اذ فاجأتنا طوارق الدهر . وجاءتنا جنود فرانسا من البحر كالذر . فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية . ونبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية . واتصلت بيننا حروب للظهور قاصمة . ولعرى الحزم والعزم فاصمة . ثم كاثرونا بالخيل والرجل . وساورونا في الحزن والسهل . فقابلنا اعمالهم بالمثل . حتى استولى على قلوب الرعية الاضطراب . واستحكم الوهن فيها بتمكن الاسباب . والقى رعبنا اعصارا . واشرب صفونا اكدارا .

وثم امور تشيب الوليد ✻ وترجع بالاشيب القهقرا

ومع ذلك لم نترك المدافعة الى انقضاء المدة . واستكمال الامارة من ايامها العدة . فاحاطت بنا جيوش تعدو او تناوش . من دولتي فرانسا ومراكش . ولله في خلقه علم الغيب . وليس في الغالب بعد بذل الوسع عيب . ومن شان الدوائر ان تدور . ولابد من اعتراء الخسف للبدور .

وفي السماء نجوم لا عداد لها ✻ وليس يكسف الا الشمس والقمر

ولما اراد الله تعالى ان لا نثبت في وجوههم . ولا نقوم بدفع صدماتهم وهجومهم . راينا التسليم

للاقدار اولى . وان النصر ليس الا بيد المولى . فالقينا السلاح للفرنساويين بشروط مقررة . وعهود بيننا محررة . وبالقدر فارقنا البلاد . وارتحلنا عن محل الطارف والتلاد . فعبثت بها ايدي النوائب . ورشقتها المحن بالسهام الصوائب . وغودرت منازلها صماء عمياء . وصودرت معاقلها بداهية دهماء . وامست من كرام اهلها خالية . واصبحت عاطلة بعد ان كانت حالية . وانمحت رسوم ذلك القطر العزيز واندثرت . وانفصمت عقود ايامه وانتثرت . ولا غرو فان الدهر ذو غير . وكل شيء بقضاء وقدر .

هذا الذي سبق القضاء به * والدهر بين الناس ذو دول

فلبثنا في فرانسا خمسة اعوام . صابرين على القدر صبر الكرام . نستنجز من الحكومة سالف عهدها . ونترقب منها وفاء وعدها . الى ان سلك الله بنا النجاة منهجا . وجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا . ومنّ علينا بالانطلاق من ذلك الاعتقال . والانتقال على مطايا الراحة مع الصحب والآل .

لا تيأسن من انفراج شديدة * قد تنجلي الغمرات وهي شدائد

ثم خرجنا من فرانسا ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية . دار السعادة ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام . لا زالت منهلا للخاص والعام . وتشرف سيدي الوالد بمقابلة حضرة ساكن الجنان . مولانا (السلطان الغازي عبد المجيد خان) . فخلع عليه خلع اللطف والاحسان . ثم توجهنا الى بروسة بقصد الاقامة . فاقمنا بها عامين وستة اشهر في عز وكرامة . وكان سبب خروجنا منها زلزلة عظيمة . مست اهلها بمصائب جسيمة . فيممنا البلاد الشامية . ونزلنا بالديار الدمشقية . والقينا فيها عصا الترحال . وحللنا عقدة الرحال . فائزين بكمال التبجيل والاحترام . حائزين اعلا منزلة وارقى مقام . ملحوظين بانظار الدولة العلية . مشمولين بصنوف مواهبها السنية . لا يتقدم علينا احد في المحافل . ولا يرد وارد قبلنا للمناهل . منزلنا ملجأ العموم . وملجأ لكل مظلوم . فيه الري لكل صادى . سواء العاكف فيه والبادي . ومع ما انا فيه من السرور . وكمال العز والحبور . كان يغلب عليّ في اغلب الاحيان . تذكر الأهل والاوطان . فتحرك مني السواكن . وتنبعث منها لاشواق الكوامن . سيما اذا مررت بنظر بروق . واومضت من ناحية المغرب بروق

ذاك الزمان هو الزمان وغيره * لافرق بين فنائه ووجوده

وما عسى ان اذكر في اقليم وقع على فضله الاتفاق . وحاز قصب السبق على غيره بالاستحقاق . فهيهات ان تنقطع له مني المدائح . ولو قطعت تغريدها الحمائم الصوادح . فان شوقي اليه شوق البلبل الى الورد . وامرؤ القيس الى الابلق الفرد .

لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا * عنها ولا نجد ولا الدهناء
لا رامة رومي ولا حزوى ولا * وادي النقا والخيف والخلصاء

كيف لا وهي كما قيل ·

بلاد بها ميطت عليّ تمائمي * واول ارض مس جلدي ترابها

وعن سيد ولد عدنان · حب الوطن من الايمان · وقالوا يحن اللبيب الى وطنه · كما يحن النجيب الى عطنه · وقيل لبعض الحكماء بم يعرف وفاء الرجل وزمام عهده قال بحنينه الى اوطانه · وتشوّقه الى اخوانه · وكانت ترد علينا بعض الوفود · فيذكرونا بسالف العهود · ثم نتجاذب أعنة الحديث · ونأخذ في القديم منها والحديث · فتوءدينا المناسبة الى ذكر احوال سيدي الوالد · الصافية موارد بره للصادر والوارد · ناصر الدين · امير الغزاة والمجاهدين

اذا قيل مثله اقول مكنيا * هو الغاية القصوى هو الآية الكبرى

فكنت اخبرهم عما وقع له من الوقائع الجسيمة · والحروب الهائلة العظيمة · التي عرف بين الناس قدرها · واشتهر على الالسنة ذكرها ·

وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر

وكثيرًا ما كنت احدثهم عنها بما يستغرب ويستبدع · ويحفظ في خزانة النفوس ويستودع · مما يرقص الجماد منه طربًا · ويقضي السامع من غرائبه عجبًا · فيشنفون بذلك مسامعهم · ويعطرون به محافلهم ومجامعهم · يرتاحون اليه ارتياح الكريم الى الوفود · ويتعطشون اليه تعطش الصادي الى الورود · ويودون تدوينه في كتاب · ليبقى ثابتًا مدى الازمان والاحقاب · يبلغه الشاهد للغائب · ويسير ذكره في المشارق والمغارب · فيتلقاه بحسن القبول من كان الادب مطمح نظره · ويرويه رواية الحديث الصحيح من رام ان يقبض قبضة من اثره · فيجعله لصحائف الشمائل عنوانًا · ويرتب له في عجائب المآثر ديوانًا · لانه من اهم ما تتعلق الهمم العلية بجمعه وتاليفه · وانفس ما تعشق النفوس الزكية حسن تدوينه وتصنيفه · فحرضوني على القيام بهذا المندوب · والتصدي لامعان النظر فيه حسب المطلوب · وقالوا لا يخفى ان تحرير احوال الاكابر · وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر · لمن سنة الكرام التي مضى عليها عملهم · وطريقة اهل العرفان التي نيط بها املهم · لاسيما هذا الامير الشهير · والسيد الجليل الخطير · من تحلت بثنائه العاطر · ألسنة اعاظم الاكابر · وتشنفت اسماع الورى

في سائر الاطراف . بحسن سيرته وما حازه من بديع الاوصاف . وتهادت اخباره كافة الدول . تهادي لذيذ الكرى لمقل . حيث اشبه من السلف عمر بن عبدالعزيز في زهده ورشاده . ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته وجهاده . وحكي الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر . بل الاحرى ان يقال . كان لجده الكرار مثال . في الجمع بين الاضداد . واحرز مناقب العلماء والامراء والابطال والعباد . وهو الجدير بان تنشر احاديثه وتحرر . وتتلى آياته مدى الدهر وتكرر . بل حري بان ترقم بالتبر جميع احواله واموره . وتضبط وقائع ايامه واعوامه وشهوره . فقلت لعمري قد اصبتم فيما ذكرتم . وحق ان تجابوا الى ما به اشرتم . ولكن اين الطرق والأسباب . الموصلة لفتح هذا الباب . فلم يقبلوا مني عذراً . بل كرروا ذلك عليّ المرة بعد الاخرى . وقالوا لا يعزب عنك شيء من ظاهر حاله وخافيه . فانك ابنه ومحل سره ورب البيت ادرى بما فيه . فقلت لقد حملتموني شيئاً اداً . وكلفتموني احصاء نجوم السماء عداً . فان حال هذا الامير لاتفي به عبارتي . ولا تحيط ببعض معانيه اشارتي .

وماذا عسى بالوصف يبلغ مقولي ✻ ولو مدت الاقلام من مدد البحر

ويكفيه ان الخصم الالد . تكلم فيه بلسان الخل الأود . بل صار كالمثل السائر . وخلد في بطون الصحف والدفاتر ✻ حكى مسيو اسكندر بالمار في تاريخه عن المارشال سوليت الفرنساوي انه قال لبعض اصحابه سنة الف وثلثمائة واربعين لايوجد الآن احد في العالم يستحق ان يلقب بالاكبر الا ثلاثة اشخاص كلهم مسلمون وهم الامير عبد القادر ومحمد علي باشا والشيخ شامل .

ومليحة شهدت لها ضراتها ✻ والفضل ما شهدت به الاعداء

وحيث لم اجد بداً عن اجابتهم . ولا مندوحة عن اطاعتهم . استخرت الله تعالى وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد . لجمع ما استعين به من المواد . فجلبت تواريخ وقائعه المدونة باللغة الافرنجية . وتكلفت ترجمتها الى العربية . وبعد مطالعتها وامعان النظر فيها وجدت بعض مؤلفيها قد اصاب . والبعض اخطاء جادة الصواب . وحافظ فريق على انتصارات قومه . ونسي الآخر احوال امسه وذكر وقائع يومه . قال لويس فاليوت كاتب اسرار المارشال بجو في تاريخه المسمى الفرنساويين في الجزائر كانت قواد الجيش تحور لوزارتها . خلاف ما كانت تحرره كتاب الجرائد لادارتها . فلذا

وضعت الاخبار في ميزان واحد . وجعلت الحكم العدل فيها شهادة سيدي الوالد . فانه رب تلك المشاهد . ولا يستوي الغائب والشاهد . وقد استخرجت من آثار مولاي خبراً يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى . و ينمطر بعبير نشره العاطر كل مغنى . ولما رايت افاضل الوقت متشوفين الى اخبار بلاد الجزائر وما فيها . متشوفين الى من يدلهم على جلي احوالها وخافيها . ظهر لي ان اذكر في المقدمة جملة كافية من جغرافية المغرب لاسيما المغرب الاوسط الذي هو موطن اسلافي . ومألف آلافي . وابين ما اشتهر فيه من المدن والامصار . والجبال والانهار . ثم اذكر طرفاً من اخبار المبدا اساساً لما ابنيه . وتمهيداً لتفصيل ما اجمله . واذكر ما سلف في اقسامه الثلاثة من الدول . ومن عمرها من الامم الاول . وما جرى فيها من عظائم الحروب . وتعاورها من غرائب النوائب والخطوب . واختصر ذلك على وجه تستعذبه السامع . ويبتهج به المطالع . ولما فرغت من ترتيبه . وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه . حصرته في قسمين الاول في سيرته السيفية . والثاني في سيرته العلمية وسميته ❋ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر ❋ فسطت عليه يد من لا بارك الله باصله ونسله . وسرقته عمداً من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده . في نفسه وماله وولده . ثم شمرت عن ساعد الاجتهاد . لجمع ما تفرق من المواد . بعد ان فقد منها الاكثر . وبقي من المسودة ما لا يذكر . فجاء مطابقاً للاصل . وخاب من الحاسد والمنة لله الامل

❋ المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب ❋

قد تقرر عند علماء هذا الفن ان حدود قارة افريقية غرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً بحر الهند وبرزخ باب المندب والبحر الاحمر وبرزخ السويس وشمالاً البحر الابيض واما حدود افريقية الشمالية مع المغرب فغرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً ارض النوبة وبلاد مصر ومن الجنوب صحراء تنسر وهي متصلة من المغرب الى المشرق ذات مفاوز يسلكها تجار المغرب الى السودان الغربي وفيها مجالات قبائل الملثمين وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً ارض فازان ويلي صحراء تنسر الى جهة الشمال منها العرق الممتد من اولها الى آخرها وفي جهة المشرق منه بلاد السودان الشرقي ويحدها شمالاً البحر الابيض وفي الجزء من حدها الغربي الى جهة الجنوب جبل درن معترضاً في المغرب كله من غربيه عند البحر المحيط الى انتهائه شرقاً وفي القطعة الغربية التي بالقرب منه وعلى البحر المحيط رباط ماسا ويتصل به بلاد سوس وعلى سمتها شرقاً لجهة الجنوب بلاد درعة ثم بلاد سجلماسا ثم

قطعة من صحراء نيسر وفي آخرها مواطن زناتة ثم ان جبل درن من جهة المغرب مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفه ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها مدينة الرباط وسلا والعرايش وفي الجوف من بلاد مراكش بلاد فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة وقد كانت في عرف اهلها تسمى بالمغرب الاقصى وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وتسمى الواسطة وتعرف الآن ببلاد الجزائر وقاعدتها قديمًا مدينة تلمسان واما الآن فمدينة الجزائر وفي سواحل هذه البلاد على البحر الرومي مدينة وهران ومستغانم وتنس وشرشال والشويك والجزائر وفي شرقي بلاد الجزائر مدينة بجاية ثم قسنطينة في الشرق منها وفي الجنوب منها بلد مسيله ثم بلاد الزاب وقاعدتها قديمًا بسكره وهي تحت جبل آوراس المتصل بجبل درن الذاهب في افريقية الشمالية غربًا وشرقًا . وينقسم الى قطعتين جنوبية وجوفية فالقطعة الجنوبية غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلاد غدامس وفي سمتها شرقًا بلاد فازان واما القطعة الجوفية ففي غربيها تبسه وعلى ساحل البحر بونه وهي عنابه وفي سمت هذه البلاد شرقًا بلاد افريقية في عرف مؤرخي الاسلام فعلى الساحل مدينة تونس ثم سوسه ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن من جهة الشرق بلاد الجريد وتوزر وقفصه ونفزاوه وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وعلى سمت هذه البلاد كلها بلاد طرابلس على البحر وبازائها في الجنوب جبل دمر ومنازل قبائل هوّاره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس في القطعة الجنوبية بلدة صغيرة تعرف بسويقة ابن مشكور وفي جنوبها ارض فازان ثم رمال وقفار وبين الجبل والبحر في الجهة الغربية بلداجدابية ثم برقة ثم منعطف الجبل ثم طلميا وهي بلدة صغيرة على البحر واعلم ان المغرب في عرف قدماء الجغرافيين قطر واحد يحده غربًا البحر المحيط ويسميه المتأخرون الاقيانيوس الاتلانتيكي وشمالاً البحر الرومي يخرج من خليج متضايق بين طنجة وطريف من بلاد الاندلس وجنوبًا جبال هائلة حاجزة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند اهل البادية بالعرق وهو سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدئًا من البحر المحيط ذاهبًا الى جهة الشرق على سمت واحد الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى ارض مصر وبه ينقطع وللمغرب ايضًا سياج آخر من الجبال مما يلي التلول تعرف بالاطلس وهي تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في المغرب الى بلاد برقة شرقا وهنالك ينقطع ويسمى مبدؤها من المغرب

فوجده اقلع عنها وبعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظفر بعدة مراكب لهم وللدولة فرنسا وقفل الى الجزائر واستمر يغزو بلاد الافرنج ويعظم النكاية فيها الى ان استحضره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر المرة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومرّ على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا فعاث فيها واستمر في مروره يخرب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة فاكرم السلطان نزله واكبر شأنه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذ اندريا دوريا الجينوي رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاخذ خير الدين يترصده ويضايقه بكل الحروب الى ان اعجزه ولحق بثغور اسبانيا وخلا البحر لخير الدين فقصد جزائر الموره ففتحها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسى على بنزرت واستولى عليها ثم مد عينه لاخذ تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلأت قلوب اهل الحضرة رعباً منه وفر صاحبها ابو محمد الحسن ولحق بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وبعث صريخه الى ملك اسبانيا فبادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر الباپا من رومية الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على شأنه فامدوه بالمراكب والجنود والمؤونات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحاصروها ايام ثم خرجوا الى البرّ وزحفوا اليها فالتقيهم خير الدين بجنوده في خربة الكلخ خارج البلد واقتتلوا وكان في قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتهزوا الفرصة حين القتال وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من خلفه فاختل مصافه وانهزمت جيوشه ولحق خير الدين ببونه ثم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس ثم فيها واستباحوها ثلاثاً وقتلوا نحو ستين الف نفس صبراً وسبوا نحوهم من المسلمين وجاء الحفصي من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا وفرضت عليه ضرائب متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في تونس والتملك بها واتخاذ الكنائس والاديرة ثم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن ابو محمد الحسن الحفصي من امره واقام على ذلك الى ان ثارت العامة وهموا عليه وطيروا الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لابيه على بونه فاسرع السير الى تونس وفر والده الى القيروان فقبض عليه ابو الطول شيخ العرب فسمل عينيه واشخصه الى القيروان واعتقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر عقب انهزامه من تونس اخذ يتأهب لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها والتقى

العساكر وسار غازيًا ثغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب للافرنج فاستولى عليها واستاقها الى الجزائر ثم غزى بلد ماهوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمها نارًا وانكفا راجعًا ولم يزل يتابع غزو الثغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله الى الاستانة فاكرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجرى خير الدين على عادته في غزو ثغور العدو من الاستانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقر السلطان الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه الفرمان والخلعة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقتفى اثر والده في الشدة والحزم والاجلاب على الثغور الافرنجية وضايقهم حتى استخفوا امر والده وغزا جبل طارق واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فتزلزلت بلاد اوروبا وامتلات القلوب منه رعبًا وايقنوا بخراب ثغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس وكانت دول اوروبا ترجع اليه في ازماتها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مركب وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب من تل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخيرالدين اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غزت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على طائل بل انتهبت اموالها وفنيت عساكرها وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاءالله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث نوء شديد برًا وبحرًا فلعبت الرياح بالمراكب والقت منها ما يزيد على مائة مركب الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه الغرق وانتهز الفرصة والي الجزائر فخرج بجيشه وحمل على المعسكر فانهزم الافرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من مراكبه ببلاده ورمى بتاجه الى الارض واقسم ان لا يضعه على راسه الا بعد استيلائه على الجزائر فلم يساعده القدر الالهي على ذلك وفي اثناء هذه الفتن انتقض اكثر قبائل البربر ونبذوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجهته الى تدويخ البلاد وقطع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم يزل يجول في الانحاء ويبث السرايا في الجهات الى ان دان الناس لطاعته واسترد مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء بسكره والزيبان ثم رجع الى الجزائر وتوفي بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق واستفحل امرهم فيه فدعتهم نفوسهم الى الاستيلاء على تلمسان دار ملك بني زيان فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة موت حسن باشا فلما افضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ القتالهم ونهض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين الى فاس واستمر حسن باشا سائرًا الى ان دخل تلمسان فاتحًا ثانيًا وولى عليها رجلاً من بني زيان اسمه حسن وقفل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن خير الدين فارتاح الناس الى توليته وكانت اسبانيا استولت على بجايه فابتدر صالح باشا اليها ونازلها برًا وبحرًا ثم اقتحمها بجيوشه واستأصلها ثم سار الى قسطنطينة فاستولى عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزياني مع بقايا بني عمه فتفرقوا اوزاعًا في الجهات والبقاء لله تعالى وانتظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا من حدود وجده من بلاد المغرب الاقصى الى الكاف من بلاد افريقية وبعد ان رجع الى الجزائر توفي وتولى اخوه حسن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم وهران بجنوده الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فتعرض له واتشب الحرب بين الفريقين فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حملت اهل الجزائر على العمل بقوانينها وتعين عليها حاكمًا من قبلها وتمده بما يلزمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن خير الدين وبعثت محمد باشا كرداولي ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل تونس سئموا من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي ولحقهم الضجر من ظلمه فدس وزيره ابو الطيب الخضار الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعده تمهيد الطرق الموصلة الى الاستيلاء عليها فجهز علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من القاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجمعان بباجه ووفى الخضار بوعده فخذل صاحبه والتقى الرعب في قلوب عساكره فتفرقوا اشتاتًا وفر ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان وتقدم علي باشا بجموعه الى

الحضرة فدخلها وقتل ابن الخضار وولى حيدر باشا على تونس وانقلب راجعاً الى الجزائر واستجاش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع ابوالعباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان وتقدم محمد بن الحسن الى عساكر اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع الزيتونة اصطبلاً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة جهزت الدولة الوزير المشهور سنان باشا فسار في جيش كثيف لانقاذ تونس من يد اسبانيا واوعزت الى والي الجزائر ووالي طرابلس الغرب بمظاهرته فاستعد كل واحد منهما وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بحاميته ومن انقاد اليه من العرب والبربر وتكاملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاستانة فاعتقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقرضت دولة بني حفص منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيفاً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وثبتت قدم سنان باشا في تونس واستفحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلم التوار ومن عهده صارت الولاة تختلف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والف فاتفق مع يوسف داي والي تونس على تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلاثين والف تولى خسرو باشا على الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والف انتقضت جزيرة كريت على الدولة واستبدوا بامرهم فاوعزت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فسار اليها في اسطوله وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عقد الصلح مع السلطان الغازي سليمان خان سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة هجرية وخمس وعشرين وخمسمائة والف ميلادية واباح له السلطان حرية مراكب فرانسا في البحر الابيض تسافر فيه حيث شاءت

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور فرانسا وتخرب حصونها الى ان آل امر فرانسا الى الملك لويس الرابع عشر فجهز نحو ستة آلاف جندي في ستة عشر مركبًا لنظر القائد الدوك دي بوفور فاقلع من طولون في مراكبه سنة اربع وسبعين والف من الهجرة مترصدًا مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحًا وفي سنة ست وسبعين وقع الصلح ولما تولى بابا حسن على الجزائر سنة اثنتين وتسعين والف اغزى مراكبه الى الثغور الفرنساوية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال تورفيل من طولون في عمارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغاديها القتال ويراوحها ثم سئم الاقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة اكثر من الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعته مال الى السلم وبعث الى رئيس العمارة في ذلك فاجابه اليه واشترط عليه امورًا انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد فاشهر الحرب على المراكب الفرنساوية ورماها بالقنابل فاستشاط تورفيل غضبًا وارسل على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويحشونهم في افواه المدافع ثم يرسلونها فتتطاير اشلاؤهم مع القنابل في الهواء وارتكبوا في ذلك ما لا يسوغ شرعًا ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال تورفيل اقلع عن الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغزى ثغور فرانسا ورجع بالغنائم وفي سنة مائة والف جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها لنظر المارشال دي سترى فنازل الجزائر والح عليها برمي القنابل واقام على ذلك خمسة عشر يومًا حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد الصلح وفي سنة اربع ومائة والف تولى على الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى تونس بجيوشه فدخلها بمداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليها وفر محمد باي الى داخلية افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقفل الى الجزائر وكان شعبان المذكور يبغض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة العرب القاطنين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقًا كثيرًا وكثر تعسفه واشتدت وطأته فقبض عليه الجند وقتلوه خنقًا وتولى الحج احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولحق ابن شكر بالمغرب الاقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فثار عليه مراد باي بن علي باي وتداول تونس من يده واستفحل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقيه علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزه الحرب فكانت الدبرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو محاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينهما فانهزم مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفأ راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكاف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهزم وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رفع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريرات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نقمه عليه فعزله ونفاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يترصد الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والف ثم قبض على الاخوين العالمين السيد احمد والسيد علال ولدي العلامة المؤلف الشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول مفتياً للمالكية والثاني قاضياً لهم فقتلهما في محبسهما خنقاً وقد انتقم الله منه بمثل فعله فسلط عليه ابراهيم آغة العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبدي باشا وكانت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعمائة اخذتها من يد ابي كمون آخر ملوك بني زيان ولم تزل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها براً وبحراً فلم تات بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز الى حاكم معسكر مصطفى باي ابي الشلاغم بمظاهرة الجيش والنظر في امره فنازلوها اول يوم من ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهلها الى برج المرسى وتحصنوا فيه فتبعهم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين فتحوا الحصن واستاصلوا اهله واستقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والف وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان والي الجزائر عبدي باشا فجهز ولده محمدا في عدة مراكب وبعثه الى وهران فنازلها ثم توفي عبدي باشا واقلع ولده محمد راجعاً الى الجزائر وكان حسن بن علي والي تونس ظاهر جيوش اسبانيا على اخذ وهران وامدّهم بالذخيرة لحفظها له ابراهيم الخزناجي مستشار عبدي باشا ولما افضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معتقلاً في الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بمظاهرته فنهض يونس من الجزائر واجتمع بحاكم قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحنانشة وابو رنان شيخ عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بجموعهم واتصل الخبر الى حسين بن علي فزحف اليهم والتقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت الدبرة على حسين بن علي فانهزمت جيوشه ولحق هو واولاده بالقيروان واستولى يونس على الحضرة وانقلبت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال عمه وهو بالقيروان فخام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصرًا للقيروان احد عشر شهرًا ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولحقوا بقسنطينة متنصلين مما وقع منهم وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناجي باشا نيابةً عن والده فتقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفي والده بقسنطينة ولحق محمود وعلي باخيهما محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الى ان مات الخزناجي باشا وتولى خوجه ابراهيم باشا وكان الخزناجي عهد اليه عند موته بمساعدتهم فلما تمكن من امره سيرهم في الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بمظاهرتهم وقبل وصولهم الى حدود تونس حصل الخلل في العسكر وتفرقت الكلمة بين حاكم قسنطينة واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فانقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفي علي بن حسين ابن علي واقام اخواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والف توفي الخوجه ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والف عدا عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابو اصبع وكان حسن باي المعروف بازرق العينين ابن اخت علي باشا المذكور واليًا على قسنطينة فاتفق رايه مع خاله على اخذ تونس من يد يونس باي وردها الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة على يونس باي واظهر له المودة فركن اليه والقى اليه بمقاليد اموره ولم يزل ينصب له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستد في امواله وبنى عليه حائطًا من خشب

ابقي في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي أرثونه خلفاً عن سلف لهذا العهد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والف توفي علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحاً زاهداً حسن السيرة محباً للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سرديليا والبرج الجديد وبرج راس العين واصلح قناة الحامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابراج والحصون وخوابي من رخام في شوارع البلد واوقف اوقافاً جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ الغمون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والف انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر القبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعانتها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبطوط اتخذوا قرصاناً وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يصادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تامر حكامها في الجزائر بقطع عاديهم فجهز محمد باشا المجاهد القبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهملة وولاية قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهؤلاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبيء بان وجود واليين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سالف امرها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديتها عن ثغورهم ما عدا دولة اسبانيا فانها كانت تتلون فتارة تدفع ضريبتها وتمتنع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى الجأ اهلها الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة الآف اسير فجمع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجهز خمسمائة مركب مشحونة بالعساكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والف فنزلت

بني صالح وفي الجنوب من هذه الجبال جبل اوراس وكل هذه الجبال منبتة تحتوي على احراش من الاشجار مختلفة الانواع والاجناس واما انهارها وجداولها فكثيرة لا يأتي عليها الحصر ومن اشهرها واكبرها في الجهة الغربية نهر تافنا يمر في شمال بلاد الغسل وفيما بين تراره وولهاصه ويصب في البحر الرومي في ساحلهم ونهر المقطاع ونهر سيك سيف بلاد الغرابه ويصب قرب قرية بطيوه ونهر مكرّه وعليه مدينة بلعباس التي احدثها الفرنسيس ونهر وادي الحمام وعليه بلدتنا التي اختطها اسلافنا ولم تزل معمورة الى ان اضرمها الفرنسيس نارًا وخرب رسومها وفي الجهة الشرقية من البلاد السيبوس ينتهي الى البحر الرومي قرب عنابه ونهر بوجيمه ونهر بني ملكي ومصبها في البحر ايضًا قرب سكيكده ونهر بوبرك ونهر الهرش ونهر تطرغان ونهر شلف وهو نهر كبير يمر في معظم ارض المغرب الأوسط منبعه من بلاد بني راشد في جنوبي وادي مزاب من الصحراء ويدخل الى التل ثم يمر مغربًا ويجتمع فيه اودية كثيرة كوادي مينه ووادي ارهيو ووادي يلل بتشديد اللام الى ان ينصب في البحر بين كله ومستغانم واما بحيراتها فاشهرها بحيرة الحوت في ولاية قسنطينه وبحيرة الوطا في ولاية الجزائر وبحيرة السبخه في ولاية وهران ينعقد ماؤها ملحًا واغلبه يستهلك بتلك الولاية منها واشهر بحيرات الصحرا بحيرة زاغق في ارض اولاد نائل وبحيرة شوط وبحيرة شكا واما اشجارها وانواع فواكهها وحبوبها ونباتاتها فكثيرة جدًا وبالجملة فبلاد الجزائر كريمة البقعة طيبة التربة مخصبة الجبال والبسائط منبجسة العيون والانهار متصلة مادة الخيرات وفيها من انواع الفواكه البورتقال والتفاح واللوز والجوز والموز والعنب والمشمش والاجاص والليمون بانواعه والزنبوع وهو الفرسكين والاترج والفستق والزيتون والعناب والخرنوب والبلوط الحلو المعروف بأبي فروه والصنوبر البري الا انه صغير اسود يعرف في بلاد المغرب بالزنين بتفخيم الزاي وتشديدها والمزاح وهو المشمله والتوت المعروف بالشامي وقصب السكر واللنج وحب الملوك وهو الكرز ويخرج سيف جبل هواره المعروف بجبل بني شقران التين الشقراني وقل ان يوجد له نظير يجلب منه كثير الى اقطار المغرب ونوع منه يسمى الباكور ينضج في آخر الربيع وفيها شجر البطم وهو شجر ضخم كبير وصمغه كحصى اللبان رائحة وطعمًا وفيها الشجر الذي يستعمل منه القلين وشجر الزرو وصمغه يشبه المصطكى لونًا وطعمًا وريحًا وينزل المن من السماء على شجر البلوط فيجمعه الناس بعد انجماده ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الثابت الذي لا تفوقه حمرة ولا يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من ادوات الصبغ ويسمونه القرمز ويعرف في بلاد المشرق بالدوده

يجلبه اليها التجار من بلاد المغرب والاندلس وفي صحرائها انواع الثمار النخل فمنها الحرّ الذي
لا يوجد لثمره نظير الا في بلاد الجريد من بلاد تونس وذلك لقوة حلاوته وحسن لونه
وضخامته ومنها ما يقال لهُ تيغهود ولعزته لا يجلب الا لبلاد فاس وبلاد المغرب الاوسط.
أخبرني والذي انه لم يرَ مثله في الحجاز ولا في العراق ولم يذق لذة فاكهة تشبهه طعماً
ونكهةً منذ فارق الوطن ومن زروعها الحنطة والشعير والحمص والعدس والفول والارز
والذره والدخن وانواع البقول والنباتات ذات الخواص لكثير من الامراض وعلى الاجمال
محاسنها لا تستوفى بعبارة فقراءة كمن سمعا . واما معادنها فالذهب والفضة والالماس والحديد
والنحاس والرصاص والزرنيخ والخيلدون وهو نوع من العقيق الجيد وحجر البلور هذا ما
اكتشفه اصحاب الصنائع والاستخراجات من الافرنج واما صنائعها فاجود ما يتنافس فيه
اهلها ويفتخرون به صناعة السلاح بانواعه على الشكل القديم ولهم اعتناء كبير باستخراج
جوهر الحديد والفولاذ ومن نفيس مصنوعاتهم نسج اقمشة الحرير ومنسوجات الصوف كالبرانس
والاكسية وغيرها من انواع الملبوسات والبسط والسجادات وغيرها من المفروشات ويساعدهم
على ذلك نعومة الصوف ولطافته ولهم براعة في طرز المناطق والسروج المذهبة والمفضضة
على وجه لا يهتدي اليه غيرهم وكذلك في صناعة الخزف الملون بانواع الادهان وفي
صناعة السفن الصغيرة التي يستعملونها لتجارة والصيد والغزو واخشابها من احراش بلادهم
ودباغة الجلد وقد برع اهل المسيله من اعمال الزاب في اتقان صنعة الدباغة على وجه اتعب
غيرهم تقليده في حسن نعومة الجلد وجودة اتقانه وبالجملة فمصنوعات بلاد الجزائر ومنسوجاتها
بلغت في الحسن والاحكام ما يبهر الرائي ويستحسنه السامع وناهيك بها ان تجارتها منحصرة
في نتائج اراضيها وصنائعها فلا يحتاج الى جلب البضائع من الخارج الاَّ ما قلّ وربما
يستغنى عنه وفيها من جياد الخيل ما يروق منظراً ويبهر خصالاً ولكثير من اهل البادية
معرفة تامة بشياتها وعيوبها وامراضها وعلاجاتها ويوجد عندهم من هذا العلم ما لا يوجد
عند احذق البياطرة في الحاضرة وفيها البغال الفارهة واغلب مشايخ البلاد وعلمائها واهل
وظائفها الدينية يركبونها دون الخيل لسرعة مشيها ولين ظهورها وفيها انواع الانعام والهجن
المشهورة بسرعة السير والقوة وفيها من صنوف الصيد الغزال والارنب والكنينة وهو نوع
اصغر من الارنب وفي صحرائها النعام والحمار والبقر وفيها من صنوف الحيوان المفترس
الاسد والنمر والفهد والخنزير والذئب والضبع وفيها من الطيور الجوارح وغيرها ما يطول
شرحه واهل الصحراء ومن قاربهم يعتنون كثيراً باقتناص الجوارح وتعليمها واستعمالها

واما اعتدال هوائها وحسن مزاجها فقد ذكر علماء الجغرافية قديمًا وحديثًا ان هذه البلاد معتدلة الهواء لا يزيد حرّها ولا بردها زيادة مضرة وفصولها في جميع السنين تأتي على قدر من الاعتدال ووسطة من الحال وعلى حسب اعتدالها اعتدلت امزجة اهلها وقلت امراضهم ودا آتهم ولذا لم يعتنوا بتحصيل علم الطب ولا باهله وقصارى امرهم فيما يعرض لهم من الامراض انهم يتطببون بادوية يستعملها غالبًا عجائزهم من الحشائش وغيرها ويسكن هذه البلاد قبائل كثيرة وشعوب وافرة من العرب والبربر ولاختلاطهم في الدهر والسكن عسر تمييزهم ويوجد بينهم في المدن وبعض القرى اتراك واولاد المماليك من بنات الوطن ويسمونهم كور اوغلان والسبب في ذلك ان السلطان يقول لاهل كلّ اوجاق من العسكر قوللرم يعني مماليكي فحرفها اهل الجزائر وقالوا كور اوغلان

﴿ ذكر ابتداء عمران المغرب ﴾

« وحوادث دول الاشراف والعرب والبربرفيه »

اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز العمران مأوى الفتن . وعش الاهوال والمحن . ومنتزى الملوك والثوار . ومطمح نظر الكبار منهم والصغار . فما هدأت لاهله روعة ولاطابت لهم فيه هجعة . ولا خيم بساحته امن . ولا فارقه الروع والوهن . ولا خلا منه زمان من قراع الكتائب . ومفاجأة المصائب والنوائب . ومع هذا ترى مساجده ومدارسه بالعباد والعلماء عامرة . ومجالسه بالاذكار وانواع العلوم زاهرة . ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير العلي العظيم . وقد اختلفت اقوال المؤرخين من الاسلام وغيرهم في اول من سكن المغرب وعمره من هذا النوع البشري لكني اقتصرت على ما نقله العلاّمة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه وذو الوزارتين ابن الخطيب في شرح منظومته المسماة رقم الحلل في نظم الدول لتقدمهما في مضمار هذا الفن واحرازهما قصب السبق فيه وسلوكهما مسالك التحقيق في النقل وملخصه ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط آدم الى الارض عمرها به وبنسله فهو الاول للخليقة على الاطلاق وانبث بنوه في نواحي الارض وتناسلوا فيها جيلاً بعد جيل الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة اثنين واربعين وستمائة والف من هبوط آدم وكان في تلك الاجيال ملوك ودول كثيرة وملل ونحل متعددة وكان فيهم انبياء ورسل آخرهم نوح عليه السلام ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثان فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عامًا يدعوهم الى عبادة الله كما اخبرنا الله تعالى ولما اعياه تعنتهم وتماديهم على

الكفر اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا فاستجاب الله دعآء. لما سبق في علمه انه ليس فيهم ولا في اولادهم من يؤمن فارسل عليهم الطوفان فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع بحيث لم يبق من بني آدم ومن كافة انواع المخلوقات الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وكان ذلك بعد مضي الفين ومائتين واثنين واربعين سنة للهبوط باتفاق المفسرين والمؤرخين ثم مات المؤمنون الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة ولم يعقبوا فصار جميع اهل الارض من نسل نوح . قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فكان عليه السلام ابًا ثانيًا للخليقة واتفق المفسرون والنسابون على اولاد نوح الذين تفرعت منهم الامم ثلاثة . سام وحام . ويافث . وقد وقع ذكرهم في التوراة وروى الطبريّ في ذلك احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن المسيب ووهب بن منبه . مثل ذلك واتفقوا على ان سامًا ابو العرب والفرس والروم . وحامًا ابو القبط والبربر والسودان . ويافثًا ابو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج . ولما افترق بنو نوح عليه السلام صار لولد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل . وصار لولد سام الحجاز والعراق الى حدود الهند . وصار لولد يافث نواحي بحر الخزر الى الصين . وكانت شعوب هؤلاء الثلاثة عند تبلبل الالسنة اثنين وسبعين شعبًا . واتفقوا على ان اول عمران المغرب كان بالجيل المعروف بالبربر اخوان السودان والقبط فهم الذين عمروه من البشر واستوطنوه . قال الطبري وزعم هشام بن الكلبي ان الغلّ من الكنعانيين من اولاد عيصو بن اسحاق عليه السلام . وبعد يوشع عليه السلام احتملهم افريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام في غزاته الى المغرب وتركهم بافريقية . فمنهم البربر وترك معهم صنهاجة وكتامة من قبائل حمير . وقيل انه وجدهم فيها . وانه لما سمع رطانتهم سماهم البربر . وفي التورية من ذرية حام احدى عشر ولدًا منهم صيدون . ولهم ناحية صيدا . وكانوا بالشام وانتقلوا لما غلبهم يوشع الى افريقية والمغرب واقاموا بهما . وقد مرّ آنفًا ان اولاد حام صار لهم الجنوب ولم تزل السودان منهم في اقطار الجنوب من مبدا بحر الهند شرقًا الى اقصى المغرب الى هذا العهد . واخوانهم القبط في مصر وجهاتها الى الآن . وهؤلاء البربر يجاورونهم ويقابلون السودان في ارياف المغرب وتلوله من حدود مصر مما يلي برقه الى اقصى المغرب حيث البحر المحيط فلا يبعد انهم كانوا مع السودان والقبط في مواطنهم الاولى ثم افترقوا فتوغل السودان في الجنوب وانحدر البربر الى برقه ونواحيها ثم توغلوا في بلاد المغرب الى اقصاه

وبقي القبط في منازلهم القديمة من مصر وبهذا تشهد القرائن والمواطن وذكر ابن سعيد في اخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب القبط وغلب على اسافل مصر حيث الاسكندرية وبنى بها مدينة مذكورة في التوراة يقال لها ارمّ ثم هلك في حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر ولما استولى افريقش على المغرب بنى فيه مدينة فسميت افريقية ثم غلب هذا الاسم على ذلك القطر بحدوده المعروفة قديمًا وحديثًا

﴿ ذكر البربر وشعائرهم ﴾

اعلم انّ النسابين قد اختلفوا في نسب البربر واطالوا البحث فيه والذي ذهب اليه المحققون كابن حزم وابن خلدون وغيرهما انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام واتفقوا على ان شعوبهم وبطونهم يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس وماد غيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس وهما على الاصح اخوان لاب وهو بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام وشعوب البرانس يجمعهم سبعة اصول وهي ازداجه ومصموده واوربه وعجيسه وكتامه وصنهاجه وريغه ويجمع شعوب البتر اربعة اصول وهم اداسه ونفوسه وضريسه ولواء الاكبر والكلام على هذه الشعوب وماتناسل منها من الامم طويل الذيل قد افرده علماء هذا الفنّ بالتأليف وجميع ما ذكروه غاية ما وصل اليه علمهم واطلاعهم . واحصاء امم البربر واجيالهم غير ممكن لتطاول الاحقاب وتداول الازمنة ولم تزل بلاد المغرب من اقصى سوس الى الاسكندرية وما بين بحر الروم والسودان عامرة بهم منذ قرون لا يعلمها الا الله تعالى . واعلم ان دين البربر في القديم المجوسية وفي بعض الاحيان يدينون بدين من تغلب عليهم كالرومان واليونان وغيرهما وقد صبحهم الاسلام وهم على دين النصرانية وبعضهم في افريقية على دين اليهودية عند استفحال ملك بني اسرائيل وقربهم منهم واما شعائرهم فالاكثر منهم آخذون بشعائر العرب يسكنون الخيام ويتنازلون حلالاً ودوائر متفرقة ويظعنون لانتجاع المرعى ويتخذون الخيل للركوب والنتاج ويعتنون بالانعام للكسب يقومون عليها ويقتاتون من البانها ويتخذون البستهم واثاثهم وخيامهم من اصوافها واوبارها وشعورها ومنهم من يبتغي الرزق من الاقتناص والنهب والاختطاف من السابلة ومنهم اهل مدائن وقرى وامصار شانهم الفلاحة واغتراس الجنات المتنوعة والتجارة والحرف النافعة الى غير ذلك من الامور التي يتوقف عليها العمران

ولا يتمّ الاّ بهاو اكثر لباسهم من الصوف بانواعه وفي الغالب يكشفون رؤسهم ويحلقونها ولغتهم العجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم ثم اختصت شعوب زناته وبطونها برطانة تخالف رطانة اخوانهم كما اختصوا بالعمائم ومن شاهد آثارهم وما شيدوه من الحصون والمعاقل والامصار وطالع اخبارهم وحروبهم وسيرهم علم انهم قوم لا يرامون بذلّ ولا يتالم من استطال عليهم بسوء وقد اعتنى الفحول من العلماء والمؤرخين بذكر سيرهم وتدوين اخبارهم فملاوا كتبهم بنقل ما كانوا عليه من الاخلاق الحميدة كعزّ الجوار وحماية النزيل ورعاية الذمة والوفاء بالعهد وصدق القول والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وجودة الملكة والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المساكين وتوقير اهل العلم وحمل الكلّ وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلوّ الهمم واباءة الضيم والشقاق مع الدول ومقارعة الخطوب والتغلب على الملك وغيرها من الخلال التي اكسبتهم الثناء من الخلق وبعد الصيت ومن مشاهيرهم بعد تمسكهم بالاسلام من الطبقة الاولى بلكين بالباء الموحدة التحتية ابن زيرى الصنهاجي عامل افريقية للعبيديين ومحمد بن خزر وعروبه بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبدالله الشيعي ويوسف بن تاشفين اللمتوني وعبد المؤمن ابن علي امير الموحدين ومن الطبقة الثانية يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن سلطان بني زيان ومحمد بن عبد القوى صاحب تاهرت ووزمار امير بني توجين وثابت بن منديل امير مغراوه وزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد فهؤلاء كانوا من ارسخهم في الخلال الحميدة قدمًا واطولهم فيها يدًا واكثرهم لها جمعًا وسنذكر طرفًا من اخبارهم على وجه الايجاز ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر ﴾

اعلم ان قبائل البربر بافريقية والمغرب كانت قبل الاسلام تحت سلطة الروم وعلى دين النصرانية ولم تزل على ذلك الى ان فتحت مصر في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسار عمرو بن العاص رضي الله عنه منها الى برقه سنة اثنتين وعشرين فصالحه اهلها على الجزية ثم سار منها الى طرابلس فحاصرها وفتحها عنوةً وولى عليها وعلى برقة حكامًا من قبله ورجع الى مصر وفي خلافة عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وتولى عبدالله بن سعيد بن ابي سرح العامري عليها فامره عثمان رضي الله عنه بالتوجه الى افريقية فزحف اليها سنة تسع وعشرين فجمع لهم جرجير ملك افريقية وبلاد المغرب

من بامصارها من الروم وبضواحيها وقراها من البربر وملوكهم وكان ملكه ما بين طرابلس وطنجه ودار ملكه سبيطله ولقي بهم المسلمين فوقعت الهزيمة في جيشه وشدّ عليه عبدالله ابن الزبير رضي الله عنه فقتله واتبعهم المسلمون يقتلون ويسبون الى ان وصلوا الى سبيطله فتحوها ثم خربوها ولم تزل خرابًا وهي في تخوم تونس مما يلي ارض الجزائر معروفة لهذا العهد ونفل الله المسلمين اموال جرجير وجموعه وبناتهم واختصت ابنة جرجير بقاتله عبدالله ابن الزبير وكان هو الرسول بخبر الفتح الى الخليفة ثم انساح المسلمون في البسائط والضواحي بالغارات ووقع بينهم وبين البربر حروب انتصر المسلمون في جميعها واسروا من ملوكهم وُزمارْ بن صقلابْ جدّ بني خزرْ وهو يومئذٍ امير مغراوه وسائر زَناته ورفعوه الى عثمان رضي الله عنه فاسلم على يده ومنّ عليه واطلقه وعقد له على قومه وقيل انما وصله وافدًا ثم لاذ الروم بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم ففعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ولما آل الامر الى معاوية بن ابي سفيان بعث ابن خديج السكوني من مصر لافتتاح افريقية سنة خمس واربعين فسار اليها وكان في جيشه عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم وعبد الملك بن مروان فلما وصل الى افريقية ارسل عبد الملك بن مروان الى جَلولا ففتحها وارسل جيشًا في البحر في مائتي مركب الى جزيرة صقليه ففتحوها وغنموا وارسل رُوَيفعْ بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الى جربه ففتحها وارسل ملك الروم اثناء ذلك من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم فتلقتهم المسلمون وردّوهم على اعقابهم ثم قفل ابن خديج راجعًا الى مصر وتولى بعده عقبة بن نافع رضي الله عنه سنة سبع واربعين فاختطّ القيروان وافترق امر الرّوم فصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم وفي سنة احدى وخمسين استعمل معاوية على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افريقية وولّى مولاه ابا المهاجر دينارًا وفي ايامه فتحت جزيرة شريك على يد حنش بن عبدالله الصاغاني وكانت رئاسة البربر يومئذٍ في اوربه لكسيلة بن لَمْزَمْ رئيس البرانس ومرادفه سكرديدْ ابن رومي من اوْربه وكانا على دين النصرانية فاسلما لاوّل دخول الاسلام الى المغرب ثم ارتدّا قبل ولاية ابي المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم وظفر بكسيله فاسلم واستبقاه عنده واحسن اليه ثم جاء عقبة بن نافع في الولاية الثانية ايام يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين فنكب كسيله واعتقله وتقدم اليه ابو المهاجر في اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوى

فدوّخه واستفتح حصون الروم وبقية ملوك البربر بالزاب وتاهرت بجموعهم ففضهم جمعاً بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعته غماره ثم نازل المصادمه في جبل درن فقوى امرهم ونهضت اليهم جموع زناتة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوه فاعتز بهم عقبة وقوى امره عليهم فاثخن فيهم وحملهم على الطاعة والاسلام ثم اجاز الى السوس الاقصى لقتال من بها من صنهاجة وكانوا على دين المجوسية فاثخن فيهم وقفل ظافراً وكسيله اثناء ذلك في اعتقاله ثم سرح عقبة العساكر الى القيروان وبقي في شرذمة منهم وتراسل كسيله وقومه فاجتمعوا اليه وانتهزوا الفرصة في عقبة رضي الله عنه فقتلوه ومن معه وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة رضي الله عنهم واستشهد في مصرع واحد جم غفير من التابعين فيهم ابو المهاجر وقد ابلى عقبة رضي الله عنه في ذلك اليوم بلاء حسناً واشتهر قبره وعليه مسجد معروف باسمه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهم ففداهم صاحب قفصه وكان زهير بن قيس قد رجع من المغرب الى القيروان فلما بلغه الخبر خرج هارباً وارتحل المسلمون معه ونزلوا برقة واقام بها ينتظر امر الخليفة نقارن ذلك اضطراب الخلاف بحروب ابن الزبير والضحاك بن قيس مع المروانيين واضطرم المغرب ناراً وفشت الردة في البربر واجتمعت كلمة البربر والروم على كسيله فنزل القيروان واعطى الامان لمن بقي بها من العرب وعظم سلطانه على البربر ومن معهم من الروم فملكهم خمس سنين ولما استقل عبد الملك ابن مروان بامر الخلافة بعث الى زهير بن قيس بالمدد وولاه حرب البرابره والاخذ بثار عقبة رضي الله عنه فزحف في آلاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيله سائر البربر ولقيه في نواحي القيروان فاشتد القتال بينهم وانهزم البربر وقتل كسيله واتبع جيشه المسلمون الى نهر ملوية وتلاشى امر البربر وفنيت فرسانهم واضمحل حال الروم وضعفوا عن اغاثتهم واضطرمت افريقية والمغرب ناراً وامتلأت قلوب البربر من زهير رعباً فلجئوا الى الحصون ثم قفل زهير الى المشرق فاعترضه اسطول صاحب القسطنطينية في سواحل برقة فقاتل الروم حتى استشهد هنالك وبعث عبد الملك بن مروان الى حسان بن النعمان عامله على مصر ان يخرج الى افريقية وبعث اليه بالمدد فزحف اليها سنة تسع وسبعين ودخل افريقية واسترجع قرطاجنه من يد الروم والبربر ثم خربها فذهب من بقي بها من الروم والافرنج الى صقلية والاندلس والذي انشأ قرطاجنه ديدون ابن البشار من نسل عيصو بن اسحق عليه السلام ثم صار ملك افريقية الى

مافار انيبال من ملوكهم فهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين واهل الاندلس ثم ولى بقرطاجنة فاجاز البحر الى بلاد الفرنجة وهم الجلالقة وزحف اليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث اخاه اسد ربال الى الاندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين الى افريقية فملكوها وقتلوا غتول خليفة انيبال فيها وخرج قواد آخرون من رومة الى الاندلس فملكوها وقتلوا اسد ربال وفرّ اخوه انيبال وتبعه قواد رومة الذين اجازوا الى افريقية فحاصروه بقرطاجنة حتى صار الصلح بينهم ثم ظاهر بعد ذلك انيبال صاحب افريقية ملوك السريانيين على حرب رومه وبعد ان تخلص اهل رومه من ذلك رجعوا الى الاندلس ثم اجازوا البحر الى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها انيبال وذلك لتسعمائة سنة من بنائها وسبعمائة من بناء رومه ثم بعد ذلك اجتمع قواد رومه على بناء قرطاجنة وتجديدها لاثنين وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومه مُلك واللذان اختطا مدينة رومه روماش وراملش وذلك لعهد اربعة الآف وخمسمائة سنة من مبدا الخليقة ثم توجه حسان بجيوشه الى الكاهنة دهيا بنت ماريه ملكة البربر بمعقلها من جبل اوراس وقد انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من زناتة وسائر البتر فلقيتهم بالسهل امام جبلها فانهزم المسلمون واسر خالد بن يزيد القيسي واتبعت آثار حسان وجيوشه بجموعها حتى اخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى اعمال طرابلس فاقام بها وبنى قصوره ولم تزل اطلالها موجودة لهذا العهد مشهورة به ثم رجعت الكاهنة الى مكانها من اوراس واستقل ملكها في افريقية واستمرت ملكة على البربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد وامره بالرجوع الى افريقية فزحف اليها سنة اربع وثمانين وكانت الكاهنة عتت واشتد ظلمها وامرت بتخريب جميع المدن والضياع وقطع الاشجار بعد ان كان الراكب يسير من طرابلس الى طنجة في عمارة متصلة وظل ممدود فشق ذلك على البربر وحصلت الوحشة بينهم وبين ملكتهم فلما وصل حسان الى افريقية زحفت اليه بجموعهم فخذلوها واختل نظامهم وشد معها قومها جراوه من البتر فانفض جيوشهم وقتل الكاهنة ثم ان البربر استأمنوا اليه فامنهم على الاسلام والطاعة فاجابوا واسلموا وعقد للاكبر من اولاد الكاهنة على قومه جراوه وانصرف حسان الى القيروان ثم في سنة ثمان وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك قدم موسى بن نصير واليًا على افريقية فدوخ المغرب واثخن في البربر حتى ادّت اليه الطاعة وولى على طنجه مولاه طارق بن زياد وانزل معه سبعة وعشرين الفًا من مسلمي العرب الاولين واثنى عشر الفا من البربر وامرهم ان يعلموا

البربر القرآن وامور الدين وسرت كلمة الاسلام في جميع احياء البربر وبطونهم ومن بقي منهم اسلم على يد اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر سنة احدى ومائة ونقل ابن خلدون عن ابي محمد بن زيد الامام المشهور ان البربر ارتدّوا اثني عشر مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز موسى بن نصير الى الاندلس واجاز معه كثيرين من رجالات البربر برسم الجهاد ووقع فتح الاندلس فحينئذٍ استقر الاسلام في المغرب واذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردّة واستوثقت الامور لموسى بن نصير في المغرب والاندلس وبلغ فيهما ما لم يبلغه غيره وحصل في يده من المغنم والسبي ما لم يحصل في يد سواه من الملوك قال الصفدي في تاريخه لم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير وغنائمه فانه استصحب عند قدومه الى الوليد بن عبد الملك ثمانية وسبعين تاجاً مكللاً بالدرّ والياقوت وكلها تيجان ملوك الاندلس من اليونان ومائة وثلاثين عجلة مشحونة بالذهب والفضة واللؤلؤ ومن ابنا الملوك وغيرهم من الاسرى ما يقرب من ثمانين الف اسير ومن الرقيق ثلاثون الف شخص واستخلف ولديه عبدالله على افريقية والمغرب وعبد العزيز على الاندلس وفي خلافة سليمان بن عبد الملك عزل عبدالله بن موسى بن نصير عن افريقية والمغرب وتولى محمد بن يزيد مولى قريش وذلك سنة ست وتسعين وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عزل عبدالله وتولى مكانه اسماعيل بن عبدالله ابن ابي المهاجر سنة سبع وتسعين ثم نبضت عروق الخارجية في رؤس كثير من البربر وسارت اليهم من سواد العراق فدانوا لها وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها فيهم من الاباضية والصفرية وفشت هذه البدعة في المغرب فوقع الاختلال في كل جهة منه وفي خلافة يزيد بن عبد الملك تولى يزيد بن ابي مسلم فقتله الخوارج لشهر من ولايته فتولى بعده بشر بن صفوان الكلبي فقدمها سنة ثلاث ومائة وغزى جزيرة صقلية سنة تسع ومائة ومات في مرجعه عنها وتولى عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي سنة عشر ومائة وعزل في خلافة هشام وتولى مكانه عبيدالله بن الحبحاب مولى ابن سلول سنة اربع عشرة ومائة وبنى جامعاً بتونس ويعرف لهذا العهد بجامع الزيتونة واتخذ فيها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ووطىء بعسكره بلاد سوس واثخن في البربر فجمعوا امرهم وانتقضوا عليه وثار ميسرة المظفري بطنجة على عمرو بن عبد الله المرادي وكان والياً عليها لابن الحبحاب فقتله

وبايع لعبد الاعلى بن جريج الافريقي الرومي الاصل ثم خلعه وبايع لنفسه ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به وقتلوه وقدموا على انفسهم خالد بن حميد الزناتي فقام بامرهم وجمع كلمتهم وزحف بجموعه الى العرب وسرح اليهم عبدالله بن الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم خالد بن حبيب الفهري فالتقوا بوادي شلف فانهزم العرب وقتل خالد بن حبيب ومن معه وتسمى هذه الواقعة بواقعة الاشراف لكثرة من حضرها من وجوه قريش والانصار وانتقضت البلاد ومرج امر الناس وانتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك فعزل ابن الحجاب وولى كلثوم بن عياض القشيري سنة ثلاث وعشرين ومائة فخرج الى افريقية حتى بلغ وادي طنجة فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي بمن معه من البربر ولقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته وعليها بلج بن بشير القشيري فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وانهزم جيشه وتحيز اهل الشام الى سبتة مع بلج بن بشير ومضى اهل مصر وافريقية الى القيروان وطار الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبي فقدم القيروان سنة اربع وعشرين ومائة وهوارة يومئذ خارجون عن طاعة الدولة ومنهم عكاشة بن ايوب وعبد الواحد بن يزيد فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة في ظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد واخذ عكاشة اسيرًا وكتب حنظلة بذلك الى هشام ولما سمعها الليث بن سعيد رضي الله عنه قال ما غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة بدر احب اليَّ من هذه الغزوة واجاز عبد الرحمن بن عقبة بن نافع لما مات ابوه الى الاندلس يحاول ملكها ولما يئس منها رجع الى تونس ودعا لنفسه سنة سبع وعشرين واستقلّ بملك افريقية واقره مروان بن محمد عليها لما تولى الخلافة ولما آلت الخلافة الى بني العباس بعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى ابي جعفر المنصور من بعده ولم يزل عبد الرحمن واليًا على افريقية الى ان قتله اخوته سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من امارته وانتهى خبر افريقية الى أبي جعفر المنصور فارسل محمد بن الاشعث الخزاعي واليًا عليها سنة اربع واربعين ومائة فلقيه ابو الخطاب الخارجي بجموعه بسرت فهزمه ابن الاشعث وقتل عامة اصحابه وافتتح طرابلس وقام بامر افريقيـة وضبطها ثم قفل الى المشرق فوليها بعده الاغلب بن سالم التميمي فخرج عليه ابوقرة اليغرني في جموع البربر فهرب ونقم عليه الجند وخلعوه ولحقوا بالحسن بن حرب

الكندي بكابس واقبل بهم الى القيروان فملكها ولحق الاغلب بكابس واستعدّ لقتال الحسن سنة خمسين فهزمه الى القيروان فكرّ عليه الحسن دونها واقتتلوا فقتل الأغلب ثم رجعت اصحاب الاغلب على الحسن فقتلوه في الموقف الذي قتل فيه الاغلب ولما بلغ المنصور قتل الاغلب بعث الى افريقية عمر بن حفص اخا المهلب ابن ابي صفرة فقدمها سنة احدى وخمسين ومائة فاستقام امره ثلاث سنين ثم ثار البربر عليه وحاصروه بطبنة فداخلهم وفرق كلمتهم بالمال ثم انتقضوا عليه وحاصروه بالقيروان ولما اجهده الحصار خرج مستميتًا الى قتالهم فقتل آخر سنة اربع وخمسين ومائة ثم تولى مكانه ابن عمه يزيد بن ابي حاتم بعثه المنصور في ستين الف مقاتل فهزم جموع البربر وقتل ابو حاتم احد رؤسائهم في ثلاثين الفا من اصحابه وتتبع يزيد جموع البربر بالقتل بثار ابن عمه عمر بن حفص ثم دخل القيروان سنة خمس وخمسين ومائة ولم يزل واليًا على افريقية والمغرب الى ان توفي سنة سبعين ومائة وكان روح بن ابي حاتم اخو يزيد على فلسطين فاستقدمه الخليفة هارون الرشيد وولاه على افريقية فقدمها ثم توفي سنة اربع وسبعين ومائة وولى مكانه ابنه الفضل فخرج عليه عبدالله بن الجارود واقتحم عليه القيروان واعتقله ووكل به وباهله من يوصلهم الى كابس ثم ردّه من الطريق وقتله فتولى بعده هرثمة بن اعين سنة سبع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وبنى القصر الكبير بالمنستير وبنى السور على طرابلس ولما رأى كثرة الثوار بافريقية استعفى الرشيد من ولايتها فاعفاه وولى محمد بن مقاتل العكي من صنائعه فقدمها سنة احدى وثمانين ومائة وكان سيء السيرة فخلعه الجند وقدموا مخلد بن مرة الأسدى وبعد ان قتل مخلد ثار تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل واخرجه من القيروان فلحق بطرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتصر لمحمد وسار بجموعه الى القيروان وهرب تميم بين يديه الى تونس وملك افريقية واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته ولما استقرّ الامر لمحمد ابن مقاتل كره اهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في ان يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك فكتب له بالعهد سنة اربع وثمانين ومائة فقام بأمر الولاية وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها وتوارثها بنوه خلفًا عن سلف الى سنة ست وتسعين ومائتين ثم خرج اهل افريقية

عن طاعتهم وقاموا بدعوة الشيعة وفر آخرهم واسمه زيادة الله قاتل ابيه الى المشرق وفي هذه المدة كلها لم تتجاوز ملكهم افريقية لمكان الدولة الادريسية في المغرب وبانقراض دولة بني الأغلب من افريقية انقطعت دعوة بني العباس منها ومن المغرب . ولنذكر دول المغرب على الترتيب ووقائعها وما آل اليه امرها مبتدئين بدولة الادارسة لانها اول دولة ظهرت فيه حتى نتوصل الى ذكر ما كان في ايام سيدي الوالد من الوقائع الهائلة والايام المشهورة مع دولة فرانسا وما جرى بينه وبين دولة مراكش بوجه الاختصار على حسب الامكان وبالله المستعان

﴿ ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى ﴾

لما آلت الخلافة العباسية للهادي خرج الحسين بن علي بن حسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليهم السلام الى المدينة المنورة وبويع في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة ثم سار منها الى مكة المكرمة وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي العباسي حين قدم حاجًا من البصرة فولاه حربه فاستعد محمد بن سليمان لقتاله وانضمّ اليه من حضر من شيعتهم ومواليهم وخرج لقتال الحسين فالتقى الفريقان بوجّ موضع على ثلاثة اميال من مكة الى جهة الطائف واقتتلوا فوقعت الهزيمة في جيش الحسين وقتل هو في جماعة من اهل البيت وافترق الباقون وكان فيهم عمه ادريس بن عبدالله الكامل فافلت مع من افلت منهم ولحق بمصر نازعًا الى المغرب وعلى بريد مصر يومئذٍ واضح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع فعلم بشان ادريس وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلي بجانب جبل زرهون سنة اثنين وسبعين وبها وقتئذٍ اسحاق بن محمد بن عبد الحميد امير اوربة من قبائل البربر فاجاره وجمع البربر على ادريس وبايعوه وقاموا بامره وخطب الناس يوم بويع فقال ايها الناس لا تمدّنّ الاعناق الى غيرنا فان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ولما استوثق له الامر زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب واكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فاسلموا على يده وخرّب حصونهم وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلاً ثم زحف الى تلمسان سنة ثلاث وسبعين وامن اميرها محمد بن خزر المغراوي واقرّه على امارته كما امن سائر زناته وبنى مسجد تلمسان وكتب اسمه على منبرها ثم رجع الى مدينة

وَليلى وقد طبق الآفاق ذكره واهتز له الرشيد ببغداد واهمه شانه واطلع على ما كان من واضح مولاهم من دسيسة التشيع واعمال الحيلة في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ومن ذلك العهد وقع الفشل لبني العباس بالمغرب وقصرت قوتهم عن ان تسمو اليه وقد استعمل الرشيد الحيلة على قتل ادريس فدسّ اليه الشماخ من مواليهم للتحيل على قتله فلحق به واظهر النفور من بني العباس مواليه فصدقه ادريس وقربه منه ثم انتهز الفرصة فيه في بعض خلواته فناوله سمّاً فقتله به سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بوَليلى وفر الشماخ ولحقه راشد مولى ادريس بوادي ملويه فاختلفا بضربتين نقطع راشد يد الشماخ واجاز الوادي فاعجزه ونما خبر ادريس الى بني العباس ببغداد فوقع ذلك احسن موقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة الادريسية من المغرب وكانت ايام خلافة ادريس خمس سنين وستة اشهر وخلف جاريته كنزة حبلى فقام بامر الملك مولاه راشد بالاتفاق وبعد ستة اشهر من موته وضعت جاريته كنزة ولداً فاجتمع البربر وعرضه راشد عليهم فرأوه شبيهاً بابيه ففرحوا به وسموه ادريس الأصغر وكفلهُ راشد الى ان قتله بعض البربر باغراء بني الاغلب امراء افريقية سنة ست وثمانين ومائة ثم قام بكفالة ادريس من بعده ابو خالد بن يزيد بن الياس العبدي الى ان بايعوه بجامع وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشر سنة وقاموا بامره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وكان ادريس الاصغر اجمل الناس خلقاً وخلقاً قال داوود بن القاسم البربري خرجت مع ادريس الاصغر الى قتال الخوارج من البربر فلقيهم وكانوا اكثر منا عدداً فاخذني العجب يومئذٍ من ثبات جأشه وشدة اقدامه على العدو مع صغر سنه فجعلت اطيل النظر فيه نكلمني في ذلك فقلت انما اطلت النظر اليك لخصال رايتها فيك منها انك تبصق بصاقاً مجتمعاً وانا اطلب قليلاً منه أبل به حلقي فلا اجده ومنها حركتك في سرجك فقال اما اجتماع بصاقي فلاجتماع قلبي واما ذهاب بصاقك فلذهاب قلبك واما حركتي فلاستشرافي الى القتال ثم قال

أليس ابونا هاشم شد ازره * واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فقلت بلى انتم اهل لذلك . ولما استوثق له الملك استوزر مصعب بن عيسى الازدي ونزع اليه كثير من قبائل العرب والاندلس واجتمع اليه منهم عدد كثير

فاختصهم وكانوا له حاشية وبطانة وعظم سلطانه بهم وقوي ملكه واختط مدينة فاس سنة اثنين وتسعين ومائة وبنى فيها مساكنه وانتقل اليها من وليلى واسس جامع الشرفا واستقام له الامر وتوطد له الملك ثم خرج غازيًا المصامدة سنة سبع وتسعين ومائة فافتتح بلادهم ودانوا بدعوته ثم غزى تلمسان وجدد بناء مسجدها واقام فيها ثلاث سنين وانتظمت كلمة البرابرة وزناتة ومحوا دعوة الخوارج منهم واستولى على المغربين من سوس الاقصى الى وادي شلف وضايق ابرهيم بن الاغلب بافريقية ثم استراب ادريس بالبرابرة فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه ثم عجزت الاغالبة عن مدافعة الادارسة ودافعوا خلفاء بني العباس فتارة باحتقار المغرب واهله وتارة بالارهاب بشان ادريس ثم رجع ادريس من تلمسان الى عاصمة ملكه فاس وعزم على الجواز الى الاندلس فادركه الاجل وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين عن ثمان وثلاثين سنة وخلف اثني عشر ولدًا ذكرًا اكبرهم جدنا محمد وهو ولي عهده فاشرك اخوته في ملكه باشارة جدته كنزة فقسم المغرب بين الكبار منهم وابقى الباقين في كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم ولم يزل امره جاريًا على احسن الوجوه واعدلها الى ان توفي في ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومائتين بعد ان عهد لابنه عليّ وهو ابن تسع سنين فقام بامره الحاشية من العرب واوربة وسائر البربر وبايعوه غلامًا مترعرعًا وقاموا بامره وطاعته فكانت ايامه خير ايام وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من ولايته وعهد لاخيه يحيى بن محمد فقام بالامر واشتد سلطانه وحسنت سيرته واستجدت فاس في العمران وبنيت الحمامات والفنادق للتجار ورحل اليها الناس من الآفاق والقاصية وبنى في ايامه جامع القرويين اختطته امراة من القيروان من مالها سنة خمس واربعين ومائتين وانتقلت اليه الخطبة من جامع الشرفا المعروف بجامع مولاي ادريس ثم اوسع في خطة المنصور بن ابي عامر وبنو مرين ثم توفي يحيى وبويع ولده يحيى بن يحيى فساءت سيرته وكثر عبثه وثارت به العامة فاخرجوه من عدوة القرويين الى عدوة الاندلسيين فتوارى ليلتين ومات اسفًا وبلغ الخبر الى ابن عمه علي بن عمر صاحب الريف فاستدعاه اهل الدولة من العرب والبربر فجاء الى فاس وبايعوه واستولى على اعمال المغرب فثار عليه عبد الرزاق الخارجي وزحف على فاس وغلب على عدوة الاندلس منها وامتنعت عليه عدوة القرويين

وفرّ علي الى اعماله من الريف فاستحضر اهل فاس يحيى بن قاسم بن ادريس فحضر اليها بجنوده وقتل عبد الرزاق وتم له الامر واستقل به الى ان اغتاله الربيع ابن سليمان سنة اثنين وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده احسن قيام يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس صاحب الريف فملك جميع اعمال الادارسة وخطب له على سائر منابر المغرب وكان اعلا بني ادريس مكانًا واعظمهم سلطانًا واكثرهم عدلاً وكرمًا ذا علم وصلاح ولم يزل على ذلك الى ان عقد الشيعة اصحاب افريقية لمصالة بن حبوس صاحب تاهرت على محاربة ملوك المغرب فزحف الى فاس في عساكر مكناسة وكتامة وبرز اليه يحيى بن ادريس بجموعه والتقوا على مكناسة فكانت الدائرة على يحيى ورجع الى فاس فحاصره بها ثم صالحه على مال يدفعه اليه وان يبايع لعبدالله المهدي فقبل وخلع نفسه وانفذ بيعته الى عبدالله المهدي وعقد له مصالة على فاس وعملها خاصة وعقد لموسى بن ابي العافية المكناسي على جميع المغرب ورجع الى افريقية وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالة الى المغرب فدسّ اليه ابن ابي العافية في يحيى فقبض عليه واستصفى امواله وغرّبه الى الريف وولى على فاس ريحان الكتامي فثار عليه الحسن بن القاسم بن ادريس الملقب بالحجام سنة عشرة وثلاثمائة واخرج ريحان منها وملكها عامين ثم زحف للقاء موسى بن ابي العافية وكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها ابنه موسى وانجلت المعركة على اكثر من الف قتيل وخلص الحسن الى فاس منهزمًا فغدر به حامد بن حمدان البربري الاوربي واعتقله وبعث به الى موسى فوصل موسى الى فاس فملكها وطالب حمدان باحضار الحسن ندافعه واطلق الحسن فخرج من معتقله متنكرًا وتدلى من السور فسقط ومات وفرّ حامد بن حمدان الى المهدية بافريقية وتولى ابن ابي العافية على جميع المغرب واجلى من بقي من الادارسة في فاس الى الريف واجتمعوا الى اكبرهم ابرهيم بن محمد بن القاسم اخي الحسن المذكور وولوه عليهم واختط لهم الحصن المعروف بحجرة النسر ثم اظلم الجوّ بين الشيعة واميرهم موسى بن ابي العافية فمال ابن ابي العافية الى المروانيين اصحاب الاندلس وخطب موسى لهم على منابر سائر اعماله وقطع خطبة العبديين فطار الخبر اليهم فجهزوا له جيشًا تحت قيادة مولاهم ميسور الفتى وكتبوا الى الادارسة بالريف ان يكونوا في نصرته حتى اذا فرغوا من موسى بن ابي العافية يرجع ميسور ويترك لهم ولاية المغرب

فكان من الادارسة في محاربة ابن ابي العافية عجائب ثم انحاز الى ملوية فلحقوا به وقتلوه بعد ان ملك المغرب ثمانية وعشرين سنة ورجع بنو ادريس الى بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون ثم توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وتولى مكانه ولده احمد بن القاسم وكان عالمًا فقيهًا يميل الى بني مروان نقطع دعوة الشيعة ودخل الاندلس بقصد الجهاد فمات هنالك سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وخلفه اخوه الحسن بن كنون الى دخول جوهر الشيعي المغرب فبايع الحسن الشيعة ولما رجع جوهر نكث ورجع للمروانيين الى ايام بلكين قائد الشيعة وقوي امرهم وضاق النطاق على الحسن حتى مات شريدًا ثم تغلب المروانيون على بلاد الريف واجازوا اكثر الادارسة المترشحين للملك الى الاندلس ثم اجازوهم الى الاسكندرية وبعث العزيز العبيدي صاحب مصر وافريقية من اختاره من بني كنون لطلب ملكهم بالمغرب فغلبهم عليه المنصور بن ابي عامر وقتلهم وكان انقراض دولة الادارسة من المغرب بعد ان ملكوه نحو مائتي سنة ثم تمكن بنو يفرن وزناتة وخطبوا فيها للمروانيين وبقيت في ايديهم يتوارثونها الى ان غلبهم عليها المرابطون والبقاء لله تعالى

﴿ ذكر بني الاغلب امراء تونس ﴾

وهم من اولاد الاغلب بن سالم قدم مع محمد بن الاشعث الخزاعي حين تولى على مصر وتونس سنة اربع واربعين ومائة فولاه على الزاب ولما رجع ابن الاشعث الى بغداد بعث الخليفة ابو جعفر المنصور الاغلب بن سالم واليًا على تونس فقدمها وسكن القيروان ثم خرج عليه ابوقرة اليفرني في جموع من البربر وقتل الاغلب في حروبه وفي ايام هارون الرشيد عهد بالولاية لابراهيم بن الاغلب وكان الرشيد يغض بمكانة ادريس في المغرب فاحتال عليه ابرهيم حتى قتله واشار لذلك ابن الخطيب بقوله .

واستوثق الملك لآل الاغلب * بعد رجال من بني المهلب
فاوّل الاقوام ابراهيم * وهو الهمام الملك العظيم
قلده هارون امر المغرب * وهولطيف الحدماقي المضرب
لم يدع في ارضه رئيسا * واعمل الحيلة في ادريسا

ودام ابراهيم في الولاية الى ان توفي . فوليها بعده ابنه العباس واستعمل الجور في رعيته فانتدب جماعة من الصالحين الى وعظه فلم يقبل واستمرّ على حاله فتوجهوا الى الله بان يريحهم منه فمات لخمسة ايام مطعونًا بعد ان اسودّ لونه وتغير جماله وحسنه فوليها اخوه زيادة الله المشهور بابن شكلة وكان اميرًا جليلاً وفىً في امارته للمأمون وابراهيم من المهدي ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتولى مكانه اخوه عقال وسار سيرته في الخير الى ان مات فولى بعده ابو العباس بن محمد ابن الاغلب وكان جاهلاً وولي بعد وفاته ابن اخيه احمد بن العباس وكان حسن الاخلاق متجنبًا الظلم والاعتساف بنى المساجد في تونس والماجل ببابها وتوفي سنة تسع واربعين ومائتين فوليها اخوه ابو محمد زيادة الله بن محمد بن الاغلب وكان عاقلاً حسن السيرة وكانت ولايته ستة اشهر ثم وليها ابن اخيه محمد بن احمد ابن محمد الملقب بابي الغرانيق لشغفه بصيدها وكان غايةً في الجود وايامه في اليمن يضرب بها المثل توفي سنة احدى وستين ومائتين وولى بعده اخوه ابو اسحاق ابراهيم ابن احمد وهو الذي نقل القصور الى ركادة وكان في ابتداء امره حسن السيرة ثم غلب عليه خلط سوداوي فتغير حاله واسرف في القتل وقتل اصحابه وحجابه وثمانية من اخوته صبرًا بين يديه وقتل بناته ثم اظهر النسك مات سنة تسع وثمانين ومائتين وولى بعده ابنه ابو العباس عبدالله على عهد المعتصم بالله فرد المظالم وتنسك ولبس الصوف وقتل بتدبير ابنه زيادة الله وكان في سجنه وبادر بقتل من شارك في دمه واظهر التبري من ذلك وفي ايام زيادة الله ظهر امر بني عبيد واقيت جيوشه جيوش الشيعة فلم تقم لهم قائمة ففر الى المشرق وترك البلاد

﴿ ذكر دولة الادارسة بالاندلس ﴾

كان لبني محمد وبني عمر من ولد ادريس رئاسة على البربر في بلاد غمارة من الريف فلما قام سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين على المهدي محمد بن هشام في جنود البربر وزناتة كان عليّ بن حمود بن ميمون بن احمد بن عليّ بن عبيدالله بن عمر بن ادريس واخوه القاسم في جملتهم واشتد امر البربر وزناتة انصار المستعين على اهل الاندلس وحاصروا المهديّ في قرطبة فخشي اهلها على انفسهم من اقتحام البربر عليهم فقتلوا المهديّ بن هشام واجتمعوا على تجديد البيعة لهشام المؤيد واستمرّ

البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم الى ان دخلوها عنوة سنة ثلاث واربعمائة وفتكوا بهشام المؤيد ثم لما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البربر على الامر قام عليّ بن حمود واخوه القاسم ودعوا لانفسهم وتعصب لهم الكثير من البربر وملكوا قرطبة سنة سبع واربعمائة وقتلوا المستعين وتم الامر لعليّ وتمكن سلطانه واتصلت دولته عامين وتلقب بالمأمون ثم قتله صقالبته في الحمام سنة ثمان واربعمائة فولي مكانه اخوه القاسم والى ذلك يشير ابن الخطيب في منظومته بقوله

ثم سليمان الى الملك رجع * نبهه الدهر وما كان هجع
وكان شاعرًا ومن اهل اللسن * وقيض الله له أبا الحسن
وهو ابن حمود اتى من سبته * وسبب العز له قد ثبته
صال عليه طالبًا دم هشام * وقال من ولي عن الثار ونام
فخذل الابن وثنى بالأب * بيده مبيدًا للسبب
واستوثق الامر فباد وانقلم * وانتصر الدهر به ممن ظلم
واغلظ الاحكام في بربره * وغالب الناس على سيره
واغتاله الصقالب في حمامه * فجرعوه الصرف من حمامه
وقام بالامر اخوه القاسم * فوضعت في ملكه المراسم

ثم بعد اربع سنين من سلطنة القاسم نازعه ابن اخيه يحيى بن علي بسبتة وكان اميرًا على تلك النواحي وولي عهد ابيه فزحف الى قرطبة فملكها سنة اثنتي عشرة واربعمائة وتلقب بالمعتلي وفرّ عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له قاضيها ابن عباد واستجاش بعض البربر ورجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة ولحق المعتلي بمالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة ولم يزل امر المعتلي لنموّ وسلطانه يعلو الى ان قتله محمد بن عبدالله البرزالي البربري بمداخلة ابن عباد ثم استدعى اهل مالقة اخاه ادريس بن علي من طنجة وبايعوه فتم امره واتسعت دولته ومات سنة احدى وثلاثين واربعمائة وبويع بعده لابن اخيه حسن بن يحيى المعتلي ولقب المستنصر ثم مات مسمومًا سنة ثمان وثلاثين وبويع لاخيه ادريس ابن يحيى ولقب العالي ثم ثار السودان عليه بدعوة ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وتلقب المهدي واقام في ملكه بمالقة واطاعته غرناطة وجيان واعمالها الى ان مات سنة اربع واربعين ورجع العالي فبويع بمكانه بغمارة وكان فرّ اليها لما ثار

عليه السودان ثم مات سنة سبع واربعين وبويع محمد الاصغر ابن ادريس بن علي وتلقب المستعلي ثم قام عليه باديس فتغلب على مالقة وسار محمد المستعلي منها الى المرية تخاوعاً ثم استدعاه اهل مليلية وكمية من وراء البحر وبايعوه سنة تسع وخمسين واربعمائة وهو آخر من ملك في الاندلس من الادارسة ثم اقتسمت ملوك الطوائف جزيرة الاندلس الى ان تغلب عليهم المرابطون بعد تغلبهم على المغرب كله والبقاء لله وحده . واعلم ان هذا القطر الاندلسي تسميه الافرنج اندلش بالشين المعجمة وكان يسكنه امم من افرنجة المغرب واكثرهم الجلالقة وكان الغوط قد تملكوه المئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب موصوفة مع السريانيين وذلك لعهد ابراهيم الخليل عليه السلام وحاربوا الاتينيين وحاصروا رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف الغوط الى الاندلس فساروا اليها وملكوها وهؤلاء الغوط من الامم العظيمة وكانوا يعرفون في الزمن القديم باسبين نسبة الى الارض التي كانوا يعمرونها بالمشرق فيمابين الفرس واليونان ولما اخذ الروم واليونان بالملة النصرانية حملوا عليها من ورائهم من المغرب من امم الفرنجة والغوط فدانوا بها وكانت دار ملوك الغوط طليطلة وملكهم لذلك العهد يسمى لزريق وهو سمة لملوكهم وكان ملك البرابرة بجبال غمارة يسمى بليان يدين بطاعتهم وملتهم وموسى بن نصير امير المغرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك واستنزل بليان بطاعة الاسلام وكان بليان ينقم على لزريق ملك الغوط فلحق بطارق بن زياد الليثي وهو يومئذ والي طنجة فانتهز طارق الفرصة واجاز البحر باذن اميره موسى بن نصير بثلاثمائة من العرب واحتشد معهم البربر وصيرهم عسكرين احدهما على نفسه ونزل بهم جبل الفتح فسمي جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وحصل لهما الفتوحات العظيمة

﴿ ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون ﴾

واصلهم من الشيعة المعروفين بالامامية وكان محمد بن حبيب والد عبيد الله المهدي منهم وهو من ولد اسماعيل الامام ومنازله بالسليمية من ارض حمص في الشام وكانت شيعتهم يتعهدونه بالزيارة فجاء محمد بن الفضل الشيعي العدني من اليمن لزيارته فبعث معه رستم بن الحسن بن الحوشب لاقامة دعوته باليمن فساروا واظهروا الدعوة واستولى

محمد بن الفضل الداعية على اكثر اليمن وفرّق الدعوة في اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب وكان ابو عبدالله المعروف بالمحتسب الشيعي من اهل صنعاء وقيل من الكوفة سمع بقدوم ابن حوشب وانه يدعو الناس الى المهدي فسار اليه واتصل به وكان ابن حوشب ارسل دعاة الى المغرب واجابتهم كتامة من البربر . فلما راى علم ابي عبدالله ودهاءه ارسله اليهم ثم جاء ابو عبدالله مكة واجتمع بجماعة منهم قدموا حجاجاً فرآهم مجيبين الى مطلوبه فسار معهم الى بلادهم من افريقية سنة ثمانين ومائتين وانثال البربر عليه من كل جهة وعظم شانه وبلغ الامر الى بني الاغلب امراء افريقية فاستصغروه ثم مضى الى تاهرت واتته قبائل المغرب الاوسط واستمرّ يطاول بني الاغلب على مملكتهم الى ان تولى زيادة الله قاتل ابيه وكان منهمكاً في لذاته فضعف امره وانتقضت عليه كافة افريقية فهرب الى المشرق ونهب البربر قصوره واحتل ابو عبدالله ركّادة ومنها ذهب الى القيروان فدخلها ولما رأى ابو عبدالله امره في الزيادة وامر بني الاغلب في النقصان بعث جماعة من كتامة الى عبيدالله المهدي بعد موت والده محمد الحبيب فوصلوا اليه وهو في السليمية واخبروه بما فتح الله عليهم وان الناس في انتظاره وشاع خبر عبيدالله المهدي في الشام والعراق ومصر واتصل الخبر بالخليفة المكتفي بالله العباسي فطلبه ففرّ الى العراق ثم لحق بمصر ومعه ابنه وخاصته فبلغه ما احدث بها محمد بن الفضل من بعد ابن حوشب وانه اساء السيرة فخرج من مصر بمن معه في زيّ التجار وسار حتى وصل قسنطينة ثم عدل الى طريق الصحراء الى سجلماسا وبها اليسع بن مدرار فاكرمه ثم حبسه وبقي في محبسه الى ان فرغ ابو عبدالله من امر افريقية واستقر على سيره حتى اتى سجلماسا فخرج اليسع لقتاله فانتقض معسكره وفرّ هو وخاصته ومن الغد خرج اهل البلد الى الشيعي وذهبوا معه الى محبس المهدي وابنه فاخرجهما وبايع للمهدي ومشى مع رؤساء القبائل بين يديه حتى انزلهم بالخيم وبعث في طلب اليسع فادركوه وقتلوه ثم ارتحلوا الى افريقية ونزلوا بركّادة سنة سبع وتسعين فحضر اهل القيروان وبويع المهدي البيعة العامة واستقام امره وقسم الاموال في رجال كتامة واقطعهم الاعمال ودوّن الدواوين وجبى الاموال واستبدّ بامره والى ذلك اشار ابن الخطيب بقوله

وظهر الشيعي في كتامه ✫ فاختار فيهم كونه واعتامه
وغرهم في رايه ومذهبه ✫ ووعدهم ملك الورى بسببه
وصير الدعوة بعض قصصي ✫ الى عبيد الله من آل الوصي

وهو الذي لقب بالمهدي * أي همام حازم ابيّ

واخر المهدي ابا عبد الله واخاه ابا العباس عن مباشرة الاحكام فاظلم الجو بينهما واظهر ابو عبد الله واخوه الطعن فيه وقالوا لهم ليس هذا هو المهدي الذي دعونا اليه فاسترابت كتامة واتفقوا على قتله ونمى الخبر الى المهدي فتلطف في امرهم وولى روءساء كتامة على البلاد وفرّق كلمتهم ثم امر عروبة بن يوسف بقتل ابي عبد الله واخيه فحمل على ابي عبد الله عند باب القصر فقال له لا تفعل فقال الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك ثم اجهز عليه وعلى اخيه ابي العباس وخلا الجو للمهدي فبني المهدية وانتقل اليها من ركادة وزال بملكه ملك بني الاغلب وملك بني مدرار اصحاب سجلماسا . واياهم فيها مائة وثلاثون سنة وزال ملك بني رستم اصحاب تاهرت واياهم فيها مائة وستون سنة ثم توفي المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية لاربع وعشرين سنة من ولايته وولى بعده ابنه ابو القاسم محمد ويقال له نزار ولقب بالقائم بامر الله فخرج عليه ابو يزيد الاعور ولم يزل مشتغلاً بحروبه مدة امارته وتوفي القائم محصورًا في سوسة بعد ان عهد لولده اسماعيل ولقبه المنصور سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فكتم المنصور موت ابيه القائم حذرًا ان يطلع عليه ابو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسمّ بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود الى ان مات ابو يزيد مأسورًا عنده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فحينئذ اظهر موت ابيه وبويع بالخلافة وضبط الملك والبلاد ثم توفي سنة احدى واربعين وثلاثمائة لسبع سنين من خلافته وعهد الى ابنه معد ولقب بالمعز لدين الله فاستقام امره وعظم ملكه ولما بلغه اختلال احوال مصر بعد موت كافور الاخشيدي جهز اليها جوهرًا في جيوش البربر والعرب فهربت العساكر الاخشيدية قبل وصوله ودخل مصر في سابع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة واقيمت دعوة الفاطميين فيها وخطب باسم المعز ابو محمد عبد الله الخشابي في الجامع العتيق في شوال وفي جمادى الاولى دخل جوهر جامع ابن طولون وامر بزيادة حي على خير العمل في الاذان وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وبعث الهدايا والاموال الى افريقية صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها وانقرضت دولة الاخشيدية من بني طغج . ولما استقر جوهر بمصر شرع في

بناء القاهرة وسير جيشاً الى الشام مع جعفر بن فلاح . فجاز الى دمشق وافتتحها بعد قتال شديد ونهب بعضها وكف عن بعض واقام الخطبة فيها يوم الجمعة للمعز الفاطمي في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ولما توالت البشائر على المعز بفتح مصر والشام عزم على المسير الى مصر وبدأ في تمهيد المغرب وقطع شواغله ثم استدعى بلكين بن زيري واستخلفه على افريقية والمغرب وانزله القيروان وسماه يوسف وكناه ابا الفتوح ثم سار باهله وعساكره الى مصر فتلقته اعيانها بالاسكندرية فاكرمهم وساروا معه الى مصر فدخلها خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكانت منزله ومنزل الخلفاء من بنيه بعده الى انقراض دولتهم بموت العاضد ابي محمد عبد الله وكانت وفاته يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وعلى وزارته يوسف صلاح الدين تقلدها بعد موت عمه شيركوه فتمكن صلاح الدين في مصر وحكم على القصر وكان قبل موت العاضد بايام وهو في شدة المرض قطع خطبته وخطب لبنى العباس بامر نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام وهو الذي بعث شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الى مصر باستدعاء من العاضد وكانت ايام ملك الفاطميين مائتين وثمان سنين بمصر واثنتين وخمسين بالمغرب وافريقية وعدة خلفائهم اربعة عشر اولهم عبيد الله المهدي وآخرهم العاضد محمد بن عبد الله وبانقراض دولتهم انقرضت دولة العرب من مصر ومن المغرب وافريقية وانتقل ملك مصر الى يوسف صلاح الدين واهل بيته ثم الى الجراكسة ثم الى الدولة العلية وانتقل ملك افريقية والمغرب الى البربر يتداولونه طائفة بعد طائفة وجيلاً بعد جيل تارةً يدعون لبني امية بالاندلس وتارة لبني العباس واخرى لبني ادريس ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم فقامت دولة صنهاجة بافريقية واولهم ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي استخلفه المعز على افريقية والمغرب عند مسيره الى مصر واستمرت امارة افريقية في ولده يتوارثونها خلفاً عن سلف الى ان انقرضت باستيلاء الافرنج على المهدية سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفرَّ الحسن بن يحيى بن تميم آخر امراء افريقية الى بجاية فاجاره صاحبها يحيى بن العزيز من بني حماد ثم لحق بالجزائر ونزل على سبع بن العزيز اخي يحيى فاكرم نزله وجاوره الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين وخمسمائة بعد استيلائهم على المغرب والاندلس فخرج الحسن الى عبد المؤمن امير الموحدين فاكرمه ولحق به وصحبه الى افريقية في غزوتيه

الاولى والثانية فنازل المهدية فافتحها سنة خمس وخمسين واسكنها الحسن وعين له اقطاعاً في خارجها ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن في ولايته بعد ابيه عبد المؤمن فا تحل باهله قاصداً مراكش فمات بتامسا والبقاء لله تعالى وحده

ذكر دولة المرابطين

وهم من الطبقة الثانية من صنهاجة ويقال لهم الملثمون وقد استوطنوا القفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ دهور لا يعرف اولها ايثاراً للانفراد والبعد عن غلبة الملوك وتناسلوا في تلك البلاد فكثروا وتعددت قبائلهم . ذكر غير واحد من المؤرخين انهم كانوا لاول الاسلام سبعين قبيلة منها لمتونة ودكالة ومسوفة ولمطة ومزيلة . ومواطنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من جنوب طرابلس وبرقه الى ريف الحبشة واتخذوا اللثام شعاراً ليلاً ونهاراً والسبب في ذلك ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدوٍ لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال و يتلثمن و يضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو راى جمعاً عظيماً فقال هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان لحقونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فاكثروا القتل من العدو وكان ممن قتله النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ومما قيل فيهم

قوم لهم درك المعالي في الحمى * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا ادراك كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكانوا على دين المجوسية ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم في المائة الثالثة وكانت الرئاسة فيهم لمتونة ولهم ملك ضخم في تلك الصحارى وجاهدوا جيرانهم من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به اكثرهم ومن بقي منهم على المجوسية اعطى الجزية ولم تزل كلمتهم مجموعة الى ان قتل صنهاجة اميرهم تميم بن يانان فتفرق امرهم وصارت رئاسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رئاسة لمتونة في بني ورتانطق ولما افضت رئاستهم الى يحيى بن ابراهيم خرج في جماعة الى الحج سنة اربعين واربعمائة فلقوا في

منصرفهم الامام ابا عمر الفاسي المالكي فطلبوا منه ان يرسل معهم من يعلمهم امر دينهم فبعث معهم الفقيه عبد الله بن يس الجزولي ولما مات الامير يحيى افترق امرهم وتركوا الاخذ عن عبد الله بن يس فاعرض عنهم وتنسك معه يحيي بن عمر واخوه ابو بكر بن عمر رؤساء لمتونة وانبذوا عن الناس في جزيرة يحيط بها بحر النيل ولحق بهم من كان في قلبه ميل الى الاسلام ولما كمل معه الف رجل قال لهم عبد الله قد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه ولن يغلب الف من قلة فخرجوا من الجزيرة وقاتلوا من استعصى عليهم حتى انابوا ورجعوا الى الحق وسماهم المرابطين وامر عليهم يحيي بن عمر فتخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعة وسجلماسا فأدوا لهم الزكاة الشرعية ورجعوا ثم بلغهم ما نال المسلمين من ظلم بني وانودين امراء سجلماسا من مغراوة فخرجوا اليهم سنة خمس واربعين واربعمائة في عدد كبير من الفرسان وعمدوا الى درعة فنهض اليهم امير مغراوة وصاحب سجلماسا ودرعة فانهزمت جيوش مغراوة وقتل اميرهم واستلحم عسكره ودخلوا سجلماسا وقتلوا من كان بها من مغراوة وبعد اصلاح احوالها استعملوا عليها بعض رؤسائهم ورجعو الى مواطنهم ثم مات يحيي بن عمر سنة ثمان واربعين واربعمائة وولي اخوه ابو بكر بن عمر نغزى بلاد سوس ومات الفقيه عبد الله بن يس في بعض حروبهم مع برغواطة واستمر ابو بكر في جهادهم حتى استاصل شافتهم ثم بلغه ما وقع بين قومه من الخلاف فخشي افتراق الكلمة وارتحل راجعاً الى قومه بعد ان استعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ورفع ما كان بينهم من الخلاف وشغلهم في جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم واقبل يوسف على شانه فدوخ اقطار المغرب واختط مدينة مراكش سنة اربع وخمسين واربعمائة ثم انتقضت عليه فاس وقبائل زناتة فنهض اليهم سنة اثنتين وستين ونازل فاس فافتتحها عنوة واصلح شانها وارتحل منها الى ملوية فافتتح حصونها وحصون غمارة وتازة وبلاد غياثة وفي سنة ثلاث وسبعين نهض الى الريف فافتتح سائر بلاده وافتتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل اميرها العباس بن يحيي واختط بها تاكرارت وهو اسم للمحلة بالبربرية ثم افتتح وهران وتنس ومليانه والمديه وغيرها وانتهى الى الجزائر ثم رجع الى مراكش سنة خمس وسبعين واربعمائة وعظم امره واستفحل ملكه وتلقب امير المسلمين وكاتبه اهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة وملوك الطوائف

مستنجزين وعده في صريخ الاسلام فاهتز للجهاد ثم اجاز البحر بعساكر المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين واربعمائة وجمع ملك الجلالقة امما لقتاله ولقيه بالزلاقة من نواحي بطليوس وكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراكش واجاز ثانية سنة ست وثمانين فلقيه ابن عباد بجيوشه فبطش بهم ورجع الى مراكش واجاز ثالثة سنة تسعين فزحف اليه ملك الجلالقة فانهزمت جيوشه ثم رجع الى مراكش واجاز ابن ابنه الامير يحيى بن ابي بكر بن يوسف سنة ثلاث وتسعين واربعمائة واجتمعت اليه جيوش المرابطين بالاندلس فتقوّى بهم واخذ عامة الاندلس من يد ملوك الطوائف واستولى على العدوتين ولم يبق منها الا سرقسطة في يد صاحبها ابن هود معتصماً بالافرنج وخاطب المستنصر العباسي الخليفة ببغداد وجاءه التقليد منه على ما لديه من الاقاليم وخاطبه الامام الغزالي يحضه على العدل والتمسك بالشريعة ثم اجاز رابعة سنة سبع وتسعين واربعمائة وتوالت غزواته في بلاد الافرنج الى ان مات على رأس المائة الخامسة فقام بالامر بعده ابنه علي واجاز الى الاندلس فاثخن فيها قتلاً وسبياً ثم اجاز ثانية سنة ثلاث وخمسمائة ونازل طليطلة فعظم شانه وقسم شرقي الاندلس على اعيان المرابطين وعقد لابنه تاشفين على غربية سنة ست وعشرين وخمسمائة ورجع الى مراكش ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الموحدين ثم مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وقام بالامر ابنه تاشفين حين عظم امر الموحدين ثم اخذ امر المرابطين الضعف وغزى عبد المؤمن بن علي في جموع الموحدين غزواته الكبرى الى جبال المغرب فخرج تاشفين بعساكر المرابطين لمقابلته وبعث البعوث الى الجهات فرجعوا منهزمين وتوالت الوقائع عليه فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه وولي عهده ابراهيم الى مراكش وزحف عبد المؤمن الى وهران في جيوش الموحدين وضايقوا تاشفين في داخلها فخرج الى الجبل المطل عليها فتردى به فرسه في بعض شعابه فمات سنة احدى واربعين وخمسمائة ثم بويع لابنه ابراهيم بن تاشفين وخلع فبويع عمه اسحاق ابن علي بن يوسف ثم زحف الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب الاقصى والاوسط فخرج اليهم عسكر اسحاق فقتلهم الموحدون وفر اسحاق وخاصته الى القصبة ثم نزلوا على حكم الموحدين فاحضر اسحاق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون وقتلوا خاصته ودخلوا مراكش وانقرضت دولة المرابطين بعد ان ملكوا المغرب الاقصى

والاوسط وعدوة الاندلس ثمانين سنة وخطب لهم على ازيد من الفي منبر وكانوا اهل ديانة وصيانة لم يجروا في اعمالهم مكساً ولا خراجاً ولا ما يخالف الشريعة المطهرة قال ابن الخطيب

قد طاعت بمغرب لمتونه * دولتها عزيزة ميمونه
تجمع ديناً وعفافاً وكرم * لم يدر قدر فضلها حتى انصرم
فاذعنت لحربها الطوائف * وظهرت من قومها خلائف

والملك لله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

﴿ ذكر دولة الموحدين ﴾

كان القائم بامر هذه الدولة محمد بن عبدالله تومرت الشهير بالمهدي واختلف النسابون فيه فقيل انه ينتمي الى الحسن السبط رضي الله عنه وانكر ابن مطروح ذلك في تاريخه وقال انما هو من هرغة من بطون المصامدة من البربر ارتحل في اول الخمسمائة الى المشرق لطلب العلم والقى جماعة من مشاهير العلماء فاستفاد علماً واسماً ثم انطلق راجعاً الى المغرب سنة خمس عشرة وخمسمائة واخذ بالانكار على الناس والزمهم اقامة الصلوات واجتناب المنكرات وكان على مذهب الاشعري في تأويل المتشابه من الآيات والاحاديث وانكر على اهل المغرب اخذهم بمذهب السلف في اقرار المتشابه كما جاء وكفرهم بذلك وكان يقول بعصمة الامام وينتحل القضايا الاستقبالية ويشير الى الحوادث الآتية وفي ايام اقامته بنواحي بجاية اتصل به عبد المؤمن الكومي الزراري فاستعبد الى المغرب الاقصى واستمر على ما هو عليه في زعمه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل مراكش فكثرت اتباعه ولما اشتهر امره استحضره امير المسلمين عليُّ بن يوسف ابن تاشفين الى مجلسه وناظره الفقهاء بين يديه فغلبهم فاخرجه من مراكش فلحق بجبال المصامدة ونزل على هرغة وبنى رباطاً للعبادة واجتمع عليه خلق كثير فعمل لهم التوحيد بلسانهم على مذهب الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد وقتال المرابطين وانه المهدي المنتظر فبايعوه على ذلك ثم كثرت جيوشه فارسل امير المسلمين عليُّ بن يوسف جيشاً لقتاله فهزمهم وقويت نفوس اتباعه ووفدت اليه قبائل المصامدة وغيرهم من البربر يبايعونه وعظم امره وترددت اليه عساكر

المرابطين مرات ففضهم ثم ارتحل الى جبل تينملل واستوطنه وبنى فيه دارا ومسجدا وسمى عامة اصحابه الموحدين ولم يزل امره يعلو فلم تهزم له راية الى سنة اربع وعشرين وخمسمائة فجهز جيشا لنظر صاحبيه الوانشريسي وعبدالمؤمن وسيرهم الى مراكش فحصروا امير المسلمين فيها عشرين يوما ثم خرج اليهم واقتتلوا فقتل الوانشريسي وانهزم عبد المؤمن بجيشه الى الجبل . ولما بلغ المهدي خبر هزيمة عساكره وكان مريضا اوصى اصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم انه هو الذي يفتح البلاد وسماه امير المؤمنين ولما توفي دفنه اصحابه في داخل مسجده وكتموا موته وعهده بالخلافة الى عبد المؤمن خوفا من تفريق الكلمة واقاموا يدبرون الامور ثلاث سنين ثم تقدم الشيخ ابو حفص الهنتاتي رئيس قبيلته الى عبد المؤمن وقال له نقدمك كما كان الامام يقدمك واعلنوا بيعته وامضوا عهد الامام بخلافته وحملوا القبائل على طاعته فاقام عبد المؤمن في تينملل يؤلف القلوب ويأخذ في الاستعداد الى ان استكمل امره فخرج الى تادلة ودرعة فاستولى عليها وانتقض البربر وسائر المغرب على المرابطين وفي سنة اربع وثلاثين غزى ولم يرجع الى تينملل حتى استولى على المغربين الاوسط والاقصى واحتل مراكش سنة احدى واربعين وفي سنة ثلاث واربعين استولى على قرطبة وقرمونة وجيان من الاندلس وفي سنة ست واربعين فتح افريقية باسرها وفتح مدينة المرية ووابرة وبياسة من الاندلس وفي سنة خمسين فتح غرناطة وفي سنة اربع وخمسين رجع الى افريقية واجلى جميع الثوار منها ونازل المهدية وكانت في يد الافرنج فاخرجهم منها سنة خمس وخمسين ووصلت جيوشه الى سرت وبرقة فيما وراء طرابلس ثم رجع الى المغرب وفي سنة سبع وخمسين خرج من مراكش الى سلا قاصدا الجواز الى الاندلس فمرض بها ومات وكانت مدته ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوما وهو الذي جمع اهل المغرب كافة على مذهب الاشعري في الاصول وعلى مذهب الامام مالك في الفروع قال ابن الخطيب

ونجم المهدي وهو الداهيه * فانجحت تلك المباني واهيه
لم يال فيها ان دعي لنفسه * وكان في الحزم فريد جنسه
وعنده سياسة وعلم * وجراة وكرم وحلم
ووافقت دولته في الناس * لدولة المسترشد العباس

واوصى بالخلافة لولده يوسف فبويع ولقب بامير المؤمنين واستقامت له الامور لحسن تدبيره ومتانة دينه واجاز الى الاندلس مرات وكانت له فيها عدة غزوات استظهر في جميعها على الافرنج وافتتح امصارًا وحصونًا وفي سنة ثمانين وخمسمائة اجاز الى الاندلس اجازته الاخيرة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته فيها حشود الاندلس ووصل الى شنترين فحاصرها وخرج النصارى من الحصن فوجدوه في غير اهبة فحملوا عليه فابلى هو ومن حضر معه ثم اصابه سهم فحمله ابنه يعقوب وانصرف الى اشبيلية فمات في الطريق وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وبويع ولده يعقوب وتلقب بالمنصور ثم اجاز الى مراكش وباشر الاحكام واقام راية الجهاد وحصن الثغور والبلاد واحسن بالمرتبات على العلماء وبنى المساجد والمدارس في جميع ايالات المغرب وافريقية والاندلس وانشأ بها عدة مارستانات واوقع بالافرنج عدة وقعات منها وقعة الأرك في نواحي بطليوس وبالجملة فقد كان اجلّ ملوك الموحدين وابعدهم صيتًا واعلاهم همةً وكانت ايامه ايام خير وامن توفي سنة خمس وتسعين ودفن بداره في مراكش وقد كذب من قال انه ولع وساح ومات بالبقاع العزيز من اعمال دمشق الشام ودفن بقرية في راس الجبل وقد سميت القرية باسمه واكثر اهالي تلك البلاد يعتقدون بذلك ولذا اكثر حجاجهم يقصدون زيارته عند مرورهم على الشام وكانت مدته اربع عشرة سنة واحد عشر شهرًا وولي بعده ابنه محمد وليّ عهده وتلقب بالناصر لدين الله وفي ايامه قوى امر ابن غانية اللمتوني في افريقية وتغلب على جميع اعمالها وخطب للخليفة العباسي فاتصل خبره بالناصر فنهض من مراكش سنة احدى وستمائة فشتت شمل ابن غانية واقام بافريقية الى سنة ثلاث وستمائة فاستناب ابا محمد ابن الشيخ ابي حفص الهنتاتي عليها ورجع الى مراكش ثم اجاز الى الاندلس فكانت وقعة العقاب المشهورة التي كانت الدبرة فيها على المسلمين ثم رجع الى مراكش ومات سنة عشر وستمائة وبويع لولده يوسف وتلقب بالمستنصر فتغلب عليه ابن جامع وزير ابيه لصغر سنه وفي ايامه دخل الوهن على دولة الموحدين واختلت الامور وظهر امر بني مرين وكان المستنصر مولعًا بالخيل والبقر فخرج في سنة عشرين وستمائة الى بستانه وجعل يمشي بين البقر فطعنته بقرة بقرنها فمات وبويع عم ابيه عبد الواحد عن كره منه في سن الشيخوخة ثم خلع وقتل لتسعة اشهر وبويع ابن اخيه عبدالله وتلقب بالعادل ثم خلع وقتل ونهب البربر قصره

واستباحو حريمه ثم بويع لاخيه ادريس بن يعقوب وتلقب بالمامون وهو يومئذٍ والٍ على اشبيلية فزاحمه يحيى بن الناصر وكان الموحدون بايعوه في مراكش يوم قتل العادل ثم اختلفت الكلمة على يحيى فلحق بالجبل واجاز المامون الى مراكش فدخلها ثم اشاع النكير على امامهم المهدي في العصمة ووضع العقائد والنداء في الصلاة بلسان البربر وتغيير رسوم الدعوة واصول الدولة واسقاط اسم المهدي من الخطابة والسكة واعلان لعنه وقتل من خالفه في ذلك من الموحدين فنكثوا بيعته وقطعوا خطبته واستبد الامير ابو زكريا فيها وتلقب بالامير وفي ايام المامون استولى ابن هود على الاندلس واخرج سائر الموحدين وامر بقتلهم ثم انتقض على المامون اخوه ابو موسى ودعا لنفسه بسبتة فخرج اليه وكان يحيى بن الناصر بالمرصاد فخالفه الى مراكش فافتتحها بجيوش العرب وعاث فيها واقلع المامون عن سبتة يريد مراكش فمات في طريقه سنة ثلاثين وبويع ولده عبد الواحد ولقب بالرشيد وفي سنة احدى وثلاثين خرج من مراكش الى الجبل واوقع بيحيى بن الناصر وجموعه ولحق يحيى بسجلماسا وانكفأ الرشيد راجعاً الى حضرته واستامن له كثير من الموحدين فامنهم ثم اساء الظن فيهم فقتلهم وبذلك فسدت قلوب الرعايا عليه واخذ اكثرهم بطاعة يحيى واحضروه من الصحراء وزحفوا به لمراكش فخرج الرشيد الى جبال المصامده وسار منها الى سجلماسا فملكها ودخل يحيى وجموعه الى مراكش وفي سنة ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من سجلماسا الى مراكش فبرز اليه يحيى بجموعه فانهزمت جموع يحيى ودخل الرشيد الى مراكش وانتقض الخلط على يحيى فنكثوا بيعته ولحق يحيى بعرب المعقل بنواحي تازا فاجاروه ثم غدروا به وفي سنة خمس وثلاثين بايع اهل اشبيلية الرشيد ونكثوا بيعة ابن هود وفي سنة ست وثلاثين وصلت اليه بيعة ابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وفي سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة بالمغرب وانتشر بنو مرين في بسائطه وزحف اليهم الرشيد فهزموه ثلاث مرات ثم رجع الى مراكش واشتد عدوانهم في نواحي مكناسه وفي سنة اربعين توفي الرشيد بمراكش غريقاً في بعض صهاريج القصر وقام بالامر بعده اخوه ابو الحسن السعيد واستخلص لنفسه رؤساء العرب وانتقض عليه اهل سبتة واشبيلية وسجلماسا وعقد المهادنة مع بني مرين وفي سنة خمس واربعين خرج من مراكش قاصداً تلمسان فتعرض ابو مرين لجموعه في طريقهم فامتلأت ايديهم من اموالهم وقتل عبدالله بن

السعيد فيمن قتل منهم ولحق الفل بمراكش فبايعوا ابا حفص عمر بن اسحاق اخا المنصور وتلقب بالمرتضى وفي سنة سبع واربعين استولى ابو يحيى بن عبد الحق وقومه بنو مرين على تازة وفاس وسياتي تفصيل اخبارهم انشاء الله تعالى وسار في سبتة ابو القاسم العزفي وفي سوس علي بن يدر وتفاقم امر بني مرين وتلاشى امر الموحدين وضعف المرتضى عن الدفاع وفي سنة اثنتين وستين اقبل يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين اياما وقتل فيها عبدالله بن يعقوب بن عبد الحق فبعث المرتضى الى ابيه يعزيه ويلاطفه وارتحل عنهم ثم فرّ ادريس ابو دبوس ابن عم المرتضى ولحق بيعقوب بن عبد الحق صريخا به واشترط له المقاسمة في العمل والذخيرة فامده بالمال واوعز الى الخلط بظاهرته وزحف ابو دبوس الى مراكش ووفد عليه جماعة من بني عمه في جيش من الموحدين والنصارى فدخلها على حين غفلة وفر المرتضى الى جبال هنتاتة فبلغه انهم بعثوا بيعتهم الى ابي دبوس فعدل عنهم الى ازمور وكان صهره ابن عطوش واليا عليها من قبله فقبض عليه وطير الخبر الى ابي دبوس فاستلمه منه وقتله وفي سنة خمس وستين بلغ ابا دبوس خبر انتقاض بني مرين فارسل الى عدوهم يغمراسن صاحب تلمسان يستعين به عليهم فلما اتصل الخبر بيعقوب بن عبد الحق جمع جيوشه ونهض الى تلمسان فاوقع ببني زيان وقعة تلاغ التي قتل فيها يغمراسن وشتت شمله ثم رجع الى فاس ونهض الى مراكش وخرج اليه ابو دبوس فكر عليه يعقوب بجموعه ففرّ فادركوه وقتلوه فدخل يعقوب مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وفرّ الموحدون منها الى جبالهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابي دبوس ولقبوه بالمعتصم مدة خمسة ايام وخرج في جملتهم وانقرض امر بني عبد المؤمن والموحدين والبقاء لله تعالى وحده

﴿ ذكر دولة بني مرين ﴾

وهم حي من زناتة في اطراف المغربين ينتجعون الصحارى ويعطون الدول حق الطاعة فلما رأوا اختلال المغرب الاقصى ايام المستنصر بن الناصر خامس خلفاء الموحدين وعلموا ان الدولة قد تلاشت وخلت الثغور من الحامية انتهزوا الفرصة فيه فدخلوه وتفرقوا في جهاته واوجفوا عليه بخيلهم ورجلهم واكتسحوا سائر بسائطه بالغارة والنهب فلجأ الناس الى الجبال والمعاقل وآذنوا الدولة بالحرب

وكان رئيسهم عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة ولم يزل على امارته ومطاولة الموحدين على الملك الى ان قتله عرب رياح من اولياء الموحدين في حرب جرت بينه وبينهم بمداخلة بني عمه اولاد عسكر سنة اربع عشرة وستمائة وقام بالامر بعده ولده عثمان فاثخن في عرب رياح لثار ابيه وتغلب على الضواحي ومد يده لاطراف البلاد يعرى مسالكها ويضع المغارم على اهلها حتى دخل اكثر القبائل في امره وبايعوه وفرّق فيهم العمال ثم فرض على امصار المغرب الاقصى ومدنه ضريبة يؤدونها على راس كل سنة ليكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ولم يزل على ذلك الى ان اغتاله علجه سنة سبع وثلاثين وستمائة فولي اخوه محمد بن عبد الحق واخذ الضريبة وجباية المغارم من سائر الرعايا وبقي عبد المؤمن في ضعف وقصور الى ان توفي الرشيد بن المأمون امير الموحدين وولي اخوه علي الملقب بالسعيد فجمع الجيوش ونهض سنة اثنتين واربعين وستمائة من مراكش وزحف اليه بنو مرين والتقوا بوادي ماش فقتل الامير محمد بن عبد الحق رئيس بني مرين وانكشف قومه ولحقوا بجبال غياثة فاعتصموا بها ثم خرجوا الى القفر وولوا عليهم ابا يحيى بن عبد الحق فقام بامرهم ورجع الى المغرب وقسم البلاد بينهم وانزل كل بطن منهم في ناحية وبعثوا بيعتهم الى ابن زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم جنح الامير ابو يحيى ابن عبد الحق الى الاستبداد فاتخذ آلة الحرب واستعمل شعائر الملك وبلغ خبره الى الخليفة السعيد فوجم لها وخطب على اعيان دولته فقال هذا ابن ابي حفص اقتطع افريقية ويغمراسن امير بني زيان اقتطع تلمسان والمغرب الاوسط وابن هود اقتطع الجانب الغربي من الاندلس وابن الاحمر اقتطع الجانب الشرقي منه وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب الاقصى ثم سموا الى تملك امصاره فاغتاظ قومه لذلك فجهز السعيد عسكره واحتشد عرب المغرب ونهض من مراكش ولما علم ابو يحيى انه لا طاقة له على محاربته افرج عن البلاد ولحقه بنو مرين واجتمعوا اليه بتاخلوطا من بلاد الريف ثم انتقلوا الى جبال بني يزناسن ونزلوا بعين الصفا ولم يزل ابو يحيى على شأنه في فتح البلاد الى ان توفي بفاس سنة ست وخمسين وستمائة وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر واهل الحل والعقد مائلة الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان يومئذ في تازه فبقي الامر في اضطراب الى ان اجتمعت الكلمة على يعقوب فدخل فاس وملكها

سنة سبع وخمسين واستجمع للاستيلاء على مراكش ولم يزل ينازلها الى ان تمكن من دخولها سنة ثمان وستين وستمائة واستقام له امر المغرب الاقصى كله وهو اول من تلقب بامير المسلمين من ملوك بني مرين ثم اشتغل بالجهاد فاجاز الى عدوة الاندلس مرات وكان له فيها الظفر العظيم ولما راى ملكه قد استوثق اختط المدينة الجديدة لضيق فاس بساحة الوادي المخترق وسطها من اعلاه وشرع في تاسيسها سنة اربع وسبعين وستمائة ولما كمل تشييدها نزلها ثم اوعز ببناء قصبة مدينة مكناسة ولم يزل قائماً بامر الجهاد واصلاح امر رعاياه الى ان مات سنة خمس وثمانين وستمائة وبويع ولي عهده ابو يعقوب يوسف ففرق الاموال وقبض ايدي العمال عن المظالم ورفع المكوس وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة واتبع سنن والده في الجهاد وقهر بني زيان وراسلته ملوك المشرق واوفدت عليه اعيانها وامتدت مملكته من سوس الاقصى الى بجاية في حدود افريقية من الجهة الغربية ولم يزل في عظمة سلطانه الى ان قتله خصيٌّ من خصيانه سنة ست وسبعمائة وهو محاصر لتلمسان وبالجملة فهذه الدولة من اعظم دول المغرب واقواها واحسنها سيرة ذكرها ابن الخطيب بقوله

واورث الله بلاد المغرب * للسادة الغر الكرام النجب
اولي الخيول والرماح والهمم * اقوى بني الدنيا واوفى بالذمم
وادرب الخلق بركض الخيل * وخوض احشاء الفلا والليل
قاموا وقد بان اختلال الطاعه * لمذهب السنة والجماعه
واستخلصوا المغرب بالسيوف * في خبر مستطرف معروف
فشمل الاقصى به والادنى * امرهم وقام منه المبنى

ولم يزل امرهم منذ دخلوا المغرب مستقيماً وحماهم منيعاً وكلمتهم متحدة الى ان مات سلطانهم ابو سالم ابراهيم بن علي بن عثمان بن عبد الحق سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتولى تاشفين وتغلب الوزير عمر بن عبد الله على الامر فتفرقت الكلمة وانتزى الثوار من اعيانهم بقاصية الملك وانقسمت الدعوة بينهم في مراكش وسجلماسا وسبتة وانحصرت السلطة في فاس واعمالها وفي ايام ابي فاس ابن العباس سنة سبع وتسعين وسبعمائة اخذ الفشل يدب في اعضاء الدولة واستمروا على اخذ الناس باللين الى ان قام الامير السيد محمد بن علي بن عمران الادريسي على عبد الحق

ابن ابي سعيد بفاس فبايعه اهلها وتم له الامر وبانتهاء ايامه انقرضت دولة بني عبد الحق الاول بن محيو بن ابي بكر مؤسس دولة بني مرين ولله الامر من قبل ومن بعد

﴿ ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرين ﴾

ولما اقتسم بنو مرين الاعمال كانت بلاد الريف لبني وطاس وكان بنو الوزير ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي يتشوفون الى الرئاسة والخروج على بني عبد الحق ويرون ان نسبهم دخيل في بني مرين لانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين فلحقوا ببني وطاس وفر ابو عبدالله محمد الشيخ ابن الوزير الى الصحراء خوفا من السلطان عبدالحق بن ابي سعيد حين قتل جماعة من عشيرته وبقي يتردد في الصحراء الى ان ملك اصيلا واستفحل امره بها فكاتبه اعيان فاس ورؤساؤها يدعونه للقدوم عليهم ويعدونه بالنصرة فنهض من اصيلا الى فاس وحاصرها وفر صاحبها الامير محمد بن علي الادريسي ودخلها محمد الشيخ فبايعه اهلها سنة ست وسبعين وثمانمائة وفي ايامه تم استيلاء الاسبانيول على عدوة الاندلس وغرناطة ولحق سلطانها ابو عبدالله ابن الاحمر بفاس واستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ فبالغ في احترامه وبقي بها الى ان توفى سنة اربعين وتسعمائة في حرب الوطاسيين مع السعديين ثم استولى البرتقال على اكثر سواحل المغرب وفي سنة عشر وتسعمائة توفي محمد الشيخ وبويع لابنه محمد المشهور بالبرتقالي ولما تم له الامر نهض الى مراكش وحاصر بها ابا العباس السعدي ولما بلغه ان بني عمه قد نبذوا طاعته ارتد الى فاس وعهد الى اخيه ابي حسون المعروف بالبادسي فقام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن احمد البرتقالي فخلع سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وبويع ابو العباس احمد وجرت بينه وبين السعدي قرب مراكش حروب عظيمة دامت اياما ثم تصالحا على ان للسعديين من تادلا الى سوس و الوطاسيين من تادلا الى المغرب الاوسط وبعده انعقد الصلح بينه وبين البرتقال وتحسنت الاحوال ثم ان السلطان محمد الشيخ السعدي نقض ما جرى من الصلح بين الوطاسيين والسعديين وقام على اخيه ابي العباس الاعرج واستولى على مراكش ونهض الى فاس وحاصرها سنة ثم استولى عليها سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبض على ابي العباس وارسله مع الوطاسيين مصفدين الى مراكش وفر ابو حسون الوطاسي الى الجزائر

مستصرخاً بالاتراك على من تغلب على ملكه وملك آبائه ووعدهم بالاموال الجزيلة ان نصروه عليه فاجابوه لذلك وشيعوا معه جيشاً كثيفاً تحت راية صالح باشا التركماني فانقلب بهم الى فاس ودخلها بعد حروب عظيمة وفر محمد الشيخ السعدي الى مراكش ولما استقر ابو حسون دفع للاتراك ما وقع عليه الاتفاق ورجعوا الى الجزائر وتخلف عنده منهم نفر يسير ولما وصل محمد الشيخ الى مراكش صرف عزمه للانتقام من ابي حسون فاستنفر القبائل ونهض بها الى فاس فخرج اليه ابو حسون وكانت الهزيمة عليه فانقلب الى فاس وتحصن بها وحاصره محمد الشيخ الى ان ظفر به وقتله واستولى على فاس سنة احدى وستين وتسعمائة وصفا له الامر وبهلاك ابي حسون انقرضت الدولة المرينية من ارض المغرب والملك لله الواحد القهار

﴿ ذكر دولة السعديين ﴾

واصلهم من اشراف ينبع النخل استوطن اسلافهم درعة ولما نشأ فيهم ابو عبد الله محمد القائم بامر الله على عفاف وصلاح بايعته اهل سوس حين احاطت بهم جيوش البرتقال من كل جهة فنهض الى تاورنت واستولى عليها ثم زحف الى اكادير وقاتل البرتقال مدة لم تنجح بها فندب الناس لبيعة ولده الاكبر ابي العباس المعروف بالاعرج فبايعوه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما تم له الامر ندب الناس الى جهاد البرتقال واخراجهم من ثغور المغرب فحصل له النصر والظفر واخرجهم من احواز تلمسنت واسفي وغيرها فبعد صيته وانتشر ذكره وكتبه امراء هنتاتة ملوك مراكش للدخول في طاعته فاجابهم وانتقل الى مراكش واستقر بها ثم حدثت بينه وبين اخيه ووزيره ابي عبدالله محمد الشيخ نفرة ادت الى حروب استقل بها امر محمد الشيخ فقبض على اخيه واولاده واودعهم السجن واصبح ملكاً بعد ان كان وزيراً ثم استولى على فاس وغرب الوطاسيين الى مراكش وقتل ابا حسون الوطاسي ولما تم له امر المغرب الاقصى تاقت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط فنهض من فاس الى تلمسان ودخلها بعد ان حاصرها تسعة اشهر ونفى الاتراك منها واتسعت خطة مملكته ودانت له البلاد ثم كرت الاتراك عليه واخرجوه من تلمسان فعاد الى فاس ثم ارتد الى تلمسان وحاصرها اياماً واقلع عنها وفي سنة خمس وستين وتسعمائة اغتيل وقتل وكان اديباً متفنناً عالماً بالتفسير والحديث يخالف القضاة ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه وكان

يحض على المشاورة لا سيما في حق الملوك ويقول ينبغي للملك أن يكون طويل الامل ولا يحسن ذلك الا منه لان رعيته تصلح بطول امله ومن مآثره اختطاط مرسى اكادير واجلاء البرتقال من نونتي ولما قتل كان ولده عبدالله الغالب بالله بفاس فبايعه اهلها ووافقهم عليها اهل مراكش وبادر خليفته بمراكش القائد ابو الحسن علي بقتل ابي العباس الاعرج المخلوع واولاده ولما استوثق الامر للغالب بالله وتمهد له ملك ابيه نهض حسن بن خير الدين باشا صاحب تلمسان في جيش كثيف الى فاس فخرج اليه الغالب بجيوشه والتقيا بوادي اللبن من احواز فاس فانهزم حسن باشا ولما قفل الغالب بالله امر بقتل اخيه عثمان لامر نقمه عليه وارسل ابن اخيه الوزير ابا عبد الله محمد بن عبد القادر لحصار مدينة شفشاون فاستولى عليها وخرج صاحبها الامير ابو عبدالله فيمن اليه من اهله واولاده الى ترغة وركب البحر الى المدينة المنورة واستقام بها الى ان توفي وبه انقرض امر بني راشد امراء شفشاون ثم جهز جيشاً كثيفاً عقد عليه لابنه محمد المعروف بالمسلوخ وارسله لحصار البريجة المسماة بالمدينة الجديدة التي بناها البرتقال فحاصرها ستين يوماً ولم يتيسر له فتحها وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة توفي الغالب بالله بمراكش ومن مآثره بناء جامع الاشراف بمراكش والمارستان واوقف عليهما اوقافاً عظيمة ولما توفي كان ولي عهده ولده محمد المتوكل على الله بفاس فارسلت البيعة له من مراكش واستمر امره منتظماً الى اواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان عمه عبد الملك واخوه احمد المنصور في سجلماسا سائر ايام ابيهما ولما تولى الغالب بالله فرّا الى تلمسان واستنصرا بصاحبها حسن باشا ابن خير الدين وذهبا الى القسطنطينية وتوقعا على حضرة السلطان الغازي سليم خان بان ينجدهما بجيش يسترجعان به ما كان بيد ابيهما ثم توجه عبد الملك مع عمارة الدولة العلية الى تونس ورجع بعد فتحها الى القسطنطينية وطلب من حضرة السلطان سليم خان ما طلبه سابقاً فاجاب طلبه وكتب الى والي الجزائر ان يعينه بما يحتاج اليه فاصحبه الوالي بجيش من الاتراك ولما وصل لاحواز فاس خرج المتوكل على الله لقتاله فبلغه وهو في القتال ان بعض جنده قد اصرّ على الغدر به فاوقد النار في خزائن البارود وفر من المعركة الى مراكش واستولى عبد الملك على فاس وطمحت نفسه الى اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم على المسير طلب الاتراك رجوعهم الى بلادهم فاعطاهم ما اتفق معهم عليه من المال وزادهم من التحف والطرف الغوال وودعهم بنفسه الى نهر سيبوا ثم نهض الى مراكش لمنازلة ابن اخيه ولما سمع المتوكل على الله بخروج عمه

اليه تهيأ لملاقاته والتقى الفريقان بخندق الريحان من احواز سلا فانهزم المتوكل وفر الى سوس ودخل عبد الملك الى مراكش ولم يزل المتوكل على الله يجول في جبال سوس الى ان اجتمعت عليه طائفة فجاء بها الى مراكش فخرج عبد الملك للقائه وخالفه المتوكل في طريقه ودخل مراكش باتفاق اهلها فرجع عبد الملك وحاصره بها وكتب الى اخيه احمد الخليفة بفاس ان ياتيه فاتاه بجيشه وفر المتوكل الى سوس فتبعه احمد المنصور ووقعت بينهما مواقع توالت الهزائم فيها على المتوكل وفر الى باديس ومنها الى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخًا بحاكمها فاجابه بشرط ان تكون سائر السواحل للبرتقال وله ما وراء ذلك ثم خرج قائد البرتقال بمائة وعشرين الف مقاتل وكان مع المتوكل ثلاثمائة من اصحابه ولم يزالوا سائرين الى ان عبروا وادي المخازن فزحف عليهم السلطان عبد الملك بجيوش المسلمين وامر بهدم القنطرة ليقطع عليهم خط الرجعة ولما التقى الجيشان واشتد الحرب توفي السلطان عبد الملك عند الصدمة الاولى وكان مريضًا يقاد به في محفة ولم يطلع على وفاته الا حاجبه وقائد المحفة فصاروا يقدمون المحفة امام الجيش ويقولون للجند ان السلطان يامركم بالتقدم اليهم الى ان منح الله المسلمين النصر وركبوا على اكتاف العدو يقتلون ويأسرون وقتل قائد البرتقال غريقًا في الوادي وبحث عن المتوكل فوجد غريقًا ايضًا فاخرجوه وسلخ وحشي جلده تبنًا وطيف به في مراكش وغيرها وهذه الوقعة من اعظم الوقائع دامت خمسة واربعين ساعة وكانت سنة ست وثمانين وتسعمائة ثم بويع لاخيه ابي العباس احمد المنصور بالله المعروف بالذهبي ولما تم له الامر كتب البشائر الى حضرة السلطان مرادخان بما حباهم الله من النصر فوردت عليه الوفود والهدايا من حضرة السلطان مرادخان ومن حاكم الجزائر وملك البرتقال والاسبانيول وعقد العهد لابنه محمد الشيخ الملقب بالمأمون ثم سار عليه ابن اخيه داود بن عبد المؤمن في جبل سكسيوه ودعا لنفسه فبعث اليه المنصور جيشًا فقاتله الى ان فر واستقر عند عرب الودايا الى ان مات واستولى المنصور على صحراء توات والسودان وبايعه صاحب برنو وفتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحاق ثم سار الناصر بن الغالب بالله ببلاد الريف فاقلق المنصور جنده وبعث اليه جيشًا وافرًا فهزمه الناصر واستفحل امره فامر المنصور ولي عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس وكانت الدبرة على الناصر فقبض عليه واحتز راسه وبعث به الى مراكش ثم ثار المأمون على ابيه بفاس فنصحه والده ولما اصرّ ولم يقبل النصيحة خرج اليه والده من مراكش في اثني عشر الف مقاتل قاصدًا

فاس ولما بلغ المامون ذلك فر الى فشتالة فقبض عليه وارسل الى المنصور فبعثه الى مكناسة وسجن بها وفي سنة اثنتي عشر والف توفي المنصور بالوباء في فاس ومن مآثره بناء القصر البديع بمراكش وحصن ثغر العرايش ومعامل السكر واعتنائه بالمولد النبوي والاعياد وكان حسن السياسة حازمًا مشاورًا في المهمات وكان يكاتب اولاده وعياله بكتابة مخصوصة وتعرف الآن بالشفرة وكان موادعًا لسلاطين بني عثمان يهاديهم ويهادونه وكتب اليه حضرة السلطان مرادخان لك على العهد ان لا امدّ يدي اليك الا للمصالحة وان خاطري لا ينوي لك الا الخير والمسامحة وبعد دفنه بايع اهل فاس ولده ابا المعالي زيدان وبايع اهل مراكش اخاه ابا فارس ولما بلغ زيدان ذلك خرج من فاس لقتال اخيه فاتحل له اخوه مكيدة عادت عليه وهي اطلاق اخيه المامون من السجن وارساله في جيش كثيف لملاقاته ولما التقى الجيشان بجواتة فر عن زيدان اكثر جيشه فارتد الى فاس وتحصن بها ولما وصلها المأمون فرح باهلها وبايعوه وفر زيدان الى تلمسان مستصرخًا بحاكم الجزائر ولما استقل المأمون بفاس جهز جيشًا لقتال اخيه ابي فارس تحت راية ولده عبدالله ووقعت الهزيمة على ابي فارس نجا بنفسه ودخل عبدالله مراكش واباحها واستقربها وساءت سيرته ولما قطع زيدان الامل من امداد حاكم الجزائر رجع الى سوس فكاتبه اهل مراكش ولما حضر اليها فر عبدالله الى ابيه في اسوء حال فجهز له ابوه جيشًا وارجعه الى مراكش والتقى الجمعان براس العين وكانت الهزيمة على زيدان ففر ودخل عبدالله مراكش ثم سار ابو حسون محمد بن عبد المؤمن من اولاد ابي العباس الاعرج وخرج من جبل جليز قاصدًا مراكش فخرج اليه عبدالله وكانت الهزيمة عليه ودخلها ابو حسون واستولى عليها ثم كتب اهل مراكش الى السلطان زيدان فنزل بجيشه خارج المدينة وخرج ابو حسون الى لقائه فكانت الدبرة عليه واستولى زيدان على مراكش وارسل قائد جيشه مصطفى باشا الى فاس فدخلت في طاعته وفر عبدالله الى القسطنطينية مستصرخًا ولما دخل زيدان الى فاس واستقام بها بلغه قيام بعض الثوار في ناحية مراكش فنهض اليها ثم بلغه قتل مصطفى باشا فرجع الى فاس واستولى الاسبانيول على العرايش بدسيسة عبدالله ثم فتك ابو الليف بعبدالله وقتله مع بعض اولاده ثم ثار الفقيه احمد بن عبدالله السجلماسي المعروف بابي محلي واستولى على سجلماسا ودرعة ومراكش وكثرت جموعه ولما علم زيدان ضعفه عن مقاومته استغاث بالفقيه زكريا الحاحي صاحب جبل درن فلباه وخرج بجيوشه سنة اثنين وعشرين والف قاصدًا مراكش فبرز اليه ابو محلي ولما

الثم القتال قتل ابو حلي وعلق راسه على سور مراكش ثم ارتحل زكريا الى بلاده مظهراً العفة عن الملك بعد ان حكم بمراكش اياماً واتصلت بينه وبين زيدان المراسلات الى ان مات زيدان بمراكش سنة سبع وثلاثين والف وبويع لابنه عبد الملك فثار عليه اخوه الوليدواحمدووقعت بينه وبينهما حروب انجحت هزيمتهما ودخل فاس بسمة السلطان وضرب السكة باسمه ثم عدا عليه ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغوده وقتله غدراً وبويع لاخيه الوليد ولم يتجاوز سلطانه مراكش واعمالها على ما كان لاخيه وابيه وفي زمنه ظهر ابو عبد الله العياشي بسلى واستولى على فاس وسائر ثغور المغرب وظهر ابو حسون السملالي المعروف بابي دميعه بسوس واستولى على درعة وسجلماسا وكان الوليد يتظاهر بالديانة ولين الجانب غير انه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه وفي سنة خمس واربعين والف عدا عليه بعض جنده وقتله غدراً وبويع لاخيه محمد الشيخ وكان في سجن الوليد فسار سيرة حميدة وثار عليه رجل من هشتوكة ولم يزل يناوشه القتال حتى فرق جمعه ثم ظهر اهل زاوية الدلاء بجبال تادلا وقويت شوكتهم ولما احس محمد الشيخ بالضعف من مقاومتهم ارسل الى قاضيه الفقيه محمد الزوار المراكشي ان يطلب منهم اجتماع الكلمة فلم يلتفتوا اليه فصرف عنانه عن مقاومتهم ومال الى مسالمتهم وبقي بمراكش الى ان قتل ثم بويع ابنه ابو العباس احمد فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده وقويت في ايامه شوكة اخواله وهم حي من الشبانات فوثبوا عليه وحاصروه بمراكش ولما رات والدته ان الامر لا يزداد الا شدة اشارت عليه بالذهاب الى اخواله وازالة ما في نفوسهم ولما وصل اليهم قتلوه غيلة ودخلوا مراكش وبايعوا فيها لاميرهم عبد الكريم بن ابي بكر سنة تسع وستين والف وبابي العباس ختمت دولة السعديين والبقاء لله وحده

﴿ ذكر امارة الشبانات من عرب المعقل ﴾

اولهم الرئيس عبد الكريم المعروف عند العامة بكروم الحاج ابن القائد ابي بكر الشبانى بويع له بعد قتل ابى العباس السعدي وسار في الناس سيرة حميدة فانتظمت مملكة مراكش ونواحيها ثم انتقضت عليه اسفى واعمالها فغزاهم ورجع مغلولاً الى مراكش فسطا عليه بعض جنده وقتله وبويع لولده ابي بكر واستمر بها الى ان بويع المولى رشيد السجلماسي فاخذ منه مراكش وقبض عليه واتبع عشيرته بالقتال حتى افناها واخرج عبد الكريم سنة تسع وسبعين والف واحرقه وانقرضت امارة الشبانات والملك لله وحده

﴿ ذكر دولة السجلماسيين ﴾

اصلهم من ينبع النخل دخل المغرب جدهم الاعلا حسن بن قاسم في القرن السابع واستوطن سجلماسا وتوفي عن ولده محمد وتوفي محمد عن حسن وتوفي حسن عن عبد الرحمن وعلي وتوفي علي عن خمسة اولاد منهم علي وتوفي علي عن ثلاثة اولاد منهم محمد وتوفي محمد عن علي الشريف وفي سنة خمسين والف هجرية بايع اهل سجلماسا محمد ابن علي الشريف المذكور في حياة والده وهو اول من بويع له منهم ولم يزل ملك المغرب الاقصى بايدي اعقابه يتوارثونه الى زمننا هذا والسلطان فيه سنة الف وثلاثمائة وخمسة عشر عبد العزيز

﴿ ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد ﴾

ويجمعهم مع بني مرين اصل واحد ولم تزل الحرب بينهم قائمة على ساق منذ كانوا في القفر واستمروا على ذلك بعد دخولهم الى تلول المغرب وكان اميرهم لاول خروجهم عن طاعة الموحدين ابا عزه زكراز بن زيان بن ثابت ولما مات تولى بعده اخوه ابو يحيى يغمراسن فاستقر على ما كان عليه اخوه وقومه من الخروج عن الدولة ثم تغلب على تلمسان والمغرب الاوسط وانتزعها من يد بني عبد المؤمن وحسن السيرة واستمال عشيرته واخلافهم عن عرب زغبه بحسن السياسة والاصطناع واتخذ آلة الملك وجند الاجناد ومحى آثار الدولة المؤمنية ولم يترك من رسومها الا الدعاء على المنبر لسلطان مراكش وتقليد العهد من يده وكانت له مع ملوك الموحدين ومن يليهم من آل حفص ملوك افريقية مواطن في التحرش به ومنازلة بلده وحروب دائبة وبالجملة فقد كان يغمراسن هذا صاحب سياسة عجيبة وقوة دهاء وهو اول ملوك بني زيان قال ابن الخطيب

اول ملاكهم يغمور * ليث الشرى والبطل المشهور
تثني عليه حومة الميدان * ما لامرء بباسه يدان
لاقى الجيوش من بني مرين * كالليث يحمي جانب العرين

ولما تم له ملك المغرب الاوسط اثار ما كان بين قومه بني زيان وبين بني مرين من العداوة القديمة فاضرم نار الحرب وركب اخطارها واشد ما كان بينهم في ايام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واشهر وقائعه وقعة وادي تلاغ سنة ست وستين وستمائة ثم وقعة يدلي قرب وجده ثم وقعة خرزوزه ثم وقعة وادي تافناو تاسولت

وكانت الدبرة في جميعها على يغمراسن ونازله يعقوب في دار ملكه تلمسان مرات فامتنع عليه بالاسوار ثم قتل يغمراسن سنة احدى وثمانين وستمائة وبويع ولده عثمان ولي عهده ثم توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وطالب عثمان بن يغمراسن في ابن عطو فابى عثمان ان يسلمه فتحركت حفيظة يوسف وعزم على غزوهم فارتحل من مراكش الى فاس ثم نهض منها حتى نزل تلمسان فانحصر عثمان وقومه داخلها ولاذوا بالاسوار فاقلع عنها وسار في نواحيها يخرب العمران ثم عاودها سنة سبع وتسعين واحاط بها ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ومر سيف ذريقه بوجده وقد اخربها بنو زيان فامر بتجديد بنائها واستعمل اخاه ابا يحيى بن يعقوب عليها ولحق بالمغرب الاقصى وجمع شأنه ثم عاود منازلة تلمسان سنة ثمان وتسعين واحاط بها من جميع جهاتها واختط لنفسه الى جانب الاسوار بلدة سماها المنصورة واقام سنين يغاديها ويراوحها بالقتال وسرح عسكره لافتتاح المغرب الاوسط فملك بلاد مغراوه ونواحي شلف وتاهرت ثم خيم بمكانه محاصرا لتلمسان ومات عثمان سلطان بني زيان سنة ثلاث وسبعمائة وقام بالامر بعده ابنه ابو زيان محمد وبلغ الخبر الى يوسف ابن يعقوب فتفجع له وعجب من صرامة بني زيان من بعده ومات ابو زيان اثناء الحصار وقام بالامر بعده اخوه ابو حمو موسى بن عثمان واستمر حصاره اياهم ثمان سنين وثلاثة اشهر ولحقهم فيها جهد شديد حتى اكلوا اشلاء الموتى وهلكت اموالهم وضاقت احوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب حتى ادركه اجله على يد خصي من خصيانه وكان قتله فرجا عظيما على ابي حمو ووقع الفشل في عسكر بني مرين لما قتل سلطانهم واختلفت كلمتهم وانجلوا عن تلمسان راجعين الى المغرب الاقصى واقبل ابو حمو على لم شعثه وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالاسطوانات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها الناظر تبرا مذابا واعيان الحضرة على مراتبهم وقد علت الجميع ابهة الوقار والاجلال تطوف عليهم ولدان قد لبسوا اقبية الخز الملون وبايديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانات بها الساعات ذات تماثيل لجين محكمات الصنعة باعلاها ايكة تحمل طائرا وفرخاه تحت جناحيه ويختله فيها ارقم خارج من كوة بجذر الايكة صاعدا وبصدرها ابواب بعدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها قرب

راس الخزانة قمر تام يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ويسامت اول باب كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم احد الفرخين فيصفر له ابوه وهناك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كاظرف ما انت راء بيمناها ورقة فيها اسم ساعتها منظوماً ويسراها موضوعة على فيها والشمع قائم ينشد امداح سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً والرياض نوراً اشتملت من انواع المطاعم على الوان تشتهيها الانفس وتستحسنها الاعين وتستلذ بسماع اسمائها الآذان ويسر مبصرها للقرب منها والتناول وان لم يكن جيعان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه يرى ذلك ويستمعه الى ان يصلي صلاة الصبح هناك وعلى هذا تمضي ليلة المولد الشريف في جميع ايام دولته الى ان عدا عليه ابنه تاشفين فقتله واستقام له الامر وشيد القصور والمصانع والمتنزهات وساعده الوقت بمسالمة بني مرين ثم طمحت نفسه الى تملك افريقية فخرج اليها من تلمسان بجيوشه ودخل تونس فاستغاث اهلها بسلطان المغرب ابي حسن المريني فراسله في الاقلاع عنها فلم يرجع وتمادى على شأنه فاستشاط السلطان غيظاً وامر بجمع الجيوش وخرج من فاس قاصداً تلمسان فطار الخبر الى تاشفين وهو بتونس فاسرع السير الى دار ملكه وسار السلطان بعساكره الى ان وصل اليها واحاط بها فركب عليها المنجنيق من كل جهة واقام محاصراً لها ثلاث سنين واثر المنجنيق فيما حواه السور من القباب والقصور ثم دخلها عنوة وقتل تاشفين وولده بازاء القصر واستولى ابو الحسن على تلمسان بما اشتملت عليه وانتقض امر بني زيان وعقد لابنه ابي عنان على تلمسان واقبل على فتح البلاد فدخل افريقية وامعن في نواحيها وحاصره العرب في القيروان فلما بلغ ذلك ولده ارتحل من تلمسان الى فاس ودعا لنفسه فاستقام له الامر ورجع بنو زيان الى دار ملكهم تلمسان واقرهم السلطان ابو عنان على ذلك واتخذهم سداً بينه وبين ابيه ولما تخلص السلطان ابو الحسن ولحق بالجزائر ناهزوه القتال واوقعوا به في نواحي مليانه ففر الى جبال المصامده فتشاغل ابو عنان عنهم بما دهمه من جواز ابيه وبعد ان مات ابوه وخلص له الامر خرج اليهم بجيوشه فاوقعوا به ثم كانت الكرة عليهم فقتل اميرهم واثرق عسكرهم واستولى ابو عنان على تلمسان وولى بعده ولده السعيد فاضطرب امر بني مرين وتراجع الزيانيون الى وطنهم وقام بامرهم

ابو حمو الثاني موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيي بن يغمراسن فتحرك اليهم ابو سالم ابراهيم بن علي الذي آل اليه امر بني مرين من فاس بجيوشه فخرجوا من تلمسان واصحروا ولم يركنوا الى ما ركن اليه اسلافهم من الانحصار داخل السور فسار ابو سالم الى ان خيم بساحة تلمسان وعاث في نواحيها ثم انكفأ راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو بقومه الى كرسي ممالكتهم وكفاهم الله امر بني مرين باختلاف الكلمة وانتزاء الثوار على الاعمال وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة استولى الاسبانيول على وهران وعلى بجاية وذلك في ايام ابي محمد عبدالله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة استولوا على الجزائر وبنوا فيها حصنهم المشهور ببرج الفنار وقوى امرهم على المسلمين واشتهر امر باربروس الاول واسمه عروج باسطوله في سواحل افريقية والجزائر واخذ امر بني زيان يتلاشى الى ان انقرضت دولتهم من المغرب الاوسط واستولت الدولة العثمانية على الضواحي والاسبانيول على السواكل وسنفصل ذلك في اخبار الدولة العثمانية انشاء الله تعالى والى الله عاقبة الامور

﴿ ذكر دولة الحفصيين امراء تونس ﴾

اول من وليها منهم ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص ابن عمر بن يحيي الهنتاني احد اصحاب المهدي بن تومرت رئيس الموحدين وهنتاته وقد اوصل نسبه ابن نخيل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر ابن سابقة ابن سليمان نسابة البربر انه من ولد صنهاج بن عسال البربري وكانت ولايته على تونس من قبل محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة ثلاث وستمائة قال ابن الخطيب

اول هذا البيت عبد الواحد ✲ وفضله ليس له من جاحد
قدمه الناصر فيها آمرًا ✲ ثم علا وصار ملكاً قاهرًا
وكان حازمًا شديد اليقظه ✲ لايهمل التافه الا لحظه
ونال ابكار المنى وعونه ✲ لكنــه لم يستبد دونه

ومات سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى مكانه العلاء من بني عبد المؤمن وعادت بعد وفاته الى بني حفص وقويت شوكتهم في ايام ابي زكريا ابن ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وهو الذي اسقط اسم عبد المؤمن من الخطبة وابقى اسم المهدي واستبد بملك افريقية وخطب لنفسه وتلقب بالامير المرتضى واتسع نطاق ملكه فتغلب على تلمسان

وكافة المغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وانشأ في تونس الابنية العظيمة ثم توفي في ساحة بونة سنة سبع واربعين وستمائة وتولى ابنه ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا فقام عليه عمه ابو ابراهيم اسحاق وسعى في خلعه وبايع لاخيه محمد اللحياني على كره منه فجمع ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا اصحابه يوم خلعه وشد على عميه ابي ابراهيم ومحمد اللحياني وقتلهما واستقر في ملكه وتلقب بالمستنصر بالله امير المؤمنين وخطب لنفسه وفي سنة ثمان وستين وستمائة رحل الملك افرنسيس ملك فرنسا الى افريقية بجموعه فعاجله الموت وتفرقت جيوشه واستقرت دولة الحفصيين مع بني زيان وبني مرين والدولة العلية والافرنج تارة لها وتارة عليها ثم انقرضت دولة الحفصيين على عهد ابي محمد الحسن المتولي سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وهو آخر ملوكهم وسيأتي الكلام على بعض وقائعهم مع الاسبانيول والدولة العلية وما آل اليه امرهم والى الله ترجع الامور

﴿ ذكر الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية ﴾

اول من اسس امر الدولة في الجزائر رجل من قرية آجي آباد انتقل الى جزيرة متلين المعروفة لهذا العهد بالمدلي واسمه عروج بن يعقوب ولقبه باربروس الاول اي صاحب اللحية الشقراء وبه اشتهر وكان ابوه فاخوريًا وفي ايام ساكن الجنان حضرة السلطان الغازي محمد خان الثاني صار جنديًا فنشأ عروج نوتيًا في مراكب الجزيرة ثم اتخذ لنفسه قرصانًا واستكمل تعبيته واخذ يغزو ثغور الافرنج ويتوغل في سواحلهم ويرصد مراكبهم ويرجع بالغنائم فشاع ذكره واشتهر امره وفي بعض غزواته اخذ اسيرًا وقتل اخوه الياس ثم تفلت من اسره ولحق ببلاده ثم اتصل بخدمة قائد مراكب الدولة الامير نور قندا بن السلطان الغازي بايزيد خان فاستعمله مستشارًا له وكان ميمون النقيبة لا يؤم بلدة من بلاد العدو الا فتحها ولا صادف مركبًا الا غنمه او اتلفه ولما مات السلطان الغازي بايزيد خان وتولى ولده السلطان الغازي سليم ياووز خان سنة ثماني عشرة وتسعمائة سافر باربروس في قرصانه ولحق بجربة من اعمال افريقية لحط اثقاله فيها واقلع غازيًا سواحل الافرنج فغنم ورجع قاصدًا تونس وسلطانها يومئذ ابو عبدالله محمد بن الحسن الحفصي فاهداه باربروس جميع ما غنمه في غزوته واستأذنه في الاقامة ببلاده فاذن له على ان يدفع له خمس ما يقع في يده من الغنائم فقبل ثم توجه الى جربة فوجد اخاه خير الدين فيها لاحقًا به فحمل اثقاله وقفل الى تونس واستمر على غزواته فبعد صيته

واشتدت على الافرنج سطوته وكان الاسبانيول مستوليًا على بجاية فغزاهم من تونس وغنم مركبين فارسلهما مع خير الدين الى تونس ونزل باربروس بجيشه الى البر وزحف بهم على المدينة فبرز اهلها لمدافعته واشتد القتال بينهم فتقهقر جيش باربروس وقفل الى تونس فاقام بها وبعث خير الدين في الاسطول الى الاندلس وكان ملك الاسبانيول قد اذن للمسلمين بالمهاجرة فاقام خير الدين فيها ثلاثة اشهر يحمل المهاجرين الى اسا كل المغرب ثم انكفا راجعًا الى تونس وكان عروج قد برىء من جراحه وانشا فيها عدة مراكب حربية واستكمل عدتها ثم اقلع من تونس وارسى على جيجل وكان اهل جينوا من ايتاليا قد استولوا عليها فاذاقهم نكال الحرب برًّا وبحرًا واستولى عليها ثم ان سالم بن تومي رئيس بني مزغنه اهل مدينة الجزائر كتب اليه يستنجده على الاسبانيول الواضعين يدهم على قلعة بتيون خارج المدينة فاجابه الى ذلك وجهز جيشًا من الاتراك والبربر واكمل عدتها وقبل ان يبارح جيجل ارسل الى اخيه خير الدين بتونس يخبره بعزمه ويامره بجمع كافة الاتراك المقيمين في تونس ويلحقه بهم الى الجزائر ثم اقلع من جيجل في المراكب وسار قاصدًا الجزائر فمال في طريقه الى اسكلة شرشال واستولى عليها ثم جاء الى الجزائر فتلقاه سالم بن تومي واعيان البلدة واقام نحو العشرين يومًا محاصرًا قلعة بتيون وبعد وصول خير الدين بجنده استولى على القلعة وتم له فتح الجزائر وبذلك اظلم الجو بينه وبين سالم بن تومي فقبض عليه وقتله وطير خبر الفتح الى حضرة السلطان الغازي سليم ياووزخان وكان وقتئذٍ في مصر فسر بذلك وبعث اليه بالخلعة ومنشور التولية على الجزائر وبلادها والتجا ابو حمو صاحب تلمسان الى اسبانيا فجهزوا الجنود وزحفوا الى عروج والتقى الفريقان بحسن داي اسم موضع قريب من الجزائر واشتعلت بينهما نار الحرب وكانت الدبرة على جيوش اسبانيا فانهزموا وتركوا في ميدان القتال ثلاثة آلاف قتيل فقوى عزم عروج ودانت له قبائل متيجه وجبال البربر القريبة من الجزائر بالطاعة ثم سار بجيشه من الجزائر قاصدًا تلمسان وفي طريقه استولى على اسكلة تنس وخيم في ساحة تلمسان فخرج اليه ابو حمو ودارت بينهما رحى الحرب فانكسر عسكر تلمسان وفر ابو حمو الى ملك اسبانيا يستغيث به واما عروج فانه ولى على تلمسان ابازيان مسعودا اخا ابي حمو واقام يتنقل في نواحي المغرب الاوسط ثم ان ملك اسبانيا انجد ابا حمو بالعساكر والذخائر وامر حاكم وهران المركيز غومارس بالمسير الى تلمسان واخراج عروج منها وطار الخبر الى عروج فقتل ابا زيان وبني عمه ودخل قلعة المشور وتحصن فيها فحاصره حاكم وهران

ستة وعشرين يوماً ثم تمكن عروج من الخروج من القلعة باموالهِ واتباعه فاتبعته الجيوش الى الوادي المالح قرب نهر شكنف ووقع المصاف بينه وبينهم فقتلوه واستولوا على امواله واستأصلوا جميع ما كان معه من جنده ولما بلغ خبر عروج الى اخيه خير الدين في الجزائر انحلت عرى عزمه وازمع على ترك الجزائر والرجوع الى الغزو في القرصان وبينما هو يستعد لذلك اذ ورد على الجزائر جند من الانكشارية بعثهم السلطان الغازي سليم ياووز خان نجدة لعروج فلما رآهم خير الدين رجع عما عزم عليه واستعد الاخذ بثار اخيه من اعدائه ولما بلغ ملك اسبانيا انتصار جيشه وقتل عروج ومن معه طمع في الاستيلاء على الجزائر فجهز اساطيله وشحنها بالجيوش والذخائر وسيرها للجزائر تحت نظر الجنرال يسوادي مونغا وعند وصوله كتب الى خير الدين الملقب بباربروس الثاني يتهدده ويذكره بما وقع باخويه ويدعوه الى تسليم البلد او الحرب فاجابه الى الحرب وبعد ايام نزل بجيوشه الى البر وخيم بالقرب من وادي الحرّاش على مسافة ساعة ونصف من البلد فخرج خير الدين بجنوده واوقع به واستولى المسلمون على المعسكر واستلخموه وحدث في البحر زوبعة شديدة فشتتت شمل المراكب وغرق اكثرها فاخذ خير الدين بثار اخويه وشفى نفسه من عدوه وطارت البشائر الى الدولة العلية بهذا الانتصار وجاءت التهاني الى خير الدين من لدن السلطان واعيان الدولة مع فرمان امارة الجزائر واستفحل امره في المغرب الاوسط واهتزت له اركان دولة بني زيان بتلمسان ودولة بني حفص في تونس فاوعز ابو عبدالله الحفصي الى صاحب تلمسان بالتظاهر على خير الدين وكان خير الدين لما تم له الاستيلاء على جبال زواوه وصنهاجة وسهول متيجه فوض امرها الى احمد ابن القاضي الصنهاجي لشهرته وقوة عصبته وسماه خليفة الشرق فرأى صاحب تونس انه لا يتم له ما اراده الا بمداخلة ابن القاضي فاتخذ الوسائل في استمالته اليه والخروج من طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في الجيش والذخيرة على حربه فارتاح ابن القاضي لذلك واسرها في نفسه واقام يترصد الفرصة واقبل صاحب تلمسان بحشوده الى الجزائر فتلقاه خير الدين بجنوده واتصلت الحرب بينهما اياماً ثم كانت الدبرة فيها على صاحب تلمسان فانهزمت جموعه وتاخر صاحب وهران عن اغاثة حليفه ثم توغلت جيوش خير الدين في الجهة الغربية وزحف اليها ابو محمد الزياني مرتين فانهزم واشتدت شوكة خير الدين وتلاشى امر بني زيان وكان ابو محمد اشخص اخاه مسعوداً الى المغرب الاقصى ثم بدا له في رجوعه واستدعاه ثعدل مسعود عن تلمسان ولحق بالجزائر صريخاً بخير الدين واشترط

له الطاعة ومالاً يحمله اليه كل سنة والخطبة للسلطان الغازي سليم ياووزخان فاجابه الى ذلك وامدّه بالجيش والذخيرة واوعز الى رؤساء البربر في تلك الجهة بمظاهرته فزحف مسعود بعساكره الى تلمسان فدخلها وفر اخوه الى وهران واستقر الامر لمسعود في تلمسان ورجع جيش خير الدين الى الجزائر ثم ان مسعوداً خرج عن طاعة خير الدين فبعث اليه خير الدين يدعوه الى الوفاء فاستنكف واساء الخطاب فتجهز اليه خير الدين براً وبحراً وسار في مراكبه الى مستغانم فدخلها من غير مقاومة وجاءه ابو محمد من وهران نازعاً اليه معتذراً عما سلف منه في حادثة عروج وجنده فعفا عنه واذن له في الاقامة عنده ورحلت العساكر البرية الى قلعة بني راشد وفيها حامية لمسعود ففرّت منها ودخلتها العساكر الجزائرية ثم ان ابا محمد طلب الرجوع واشترط لخير الدين ما اشترطه مسعود فاجابه خير الدين وسيره في العساكر الى تلمسان فلقيهم مسعود بجموعه فوقعت الهزيمة في جيشه وسار ابو محمد في اثرهم حتى شارف تلمسان ودسّ لاشياعه فيها ففتحوا له الابواب ودخلها وفرّ مسعود منها واستقر ابو محمد في دار ملكه وكان ابن القاضي الصنهاجي انتهز الفرصة في غيبة خير الدين ودعا الناس لبيعته فقام بنصرته قومه من صنهاجة وغيرهم من البربر وزناتة فاطلق فيهم الاموال وخاطب صاحب تونس الحفصي في انجاز وعده فامده بالرجال والاموال وقفل خير الدين الى الجزائر وقد قوي امر ابن القاضي فسير الجيوش لحربه فانتصر ابن القاضي عليها وردّها على اعقابها ثم آل الامر الى المصالحة ورجع ابن القاضي الى ما كان عليه من الطاعة والولاية اربعة اشهر ثم نقض العهد واشهر الحرب فعقد خير الدين لقائده جيشه قره حسن على حربه فنهض اليه من الحضرة ووقع الرعب في قلوب البربر ولاذوا بالطاعة وانفرد ابن القاضي في قومه ثم خاطب قره حسن في الخروج عن طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في العمل والرعية فمال اليه قره حسن والتحم معه وعززهما الحفصي صاحب تونس بجيشه ودسوا الى اهل الجزائر في القبض على خير الدين وضمنوا لهم جميل النظر فاجابوهم الى ذلك واتصل الخبر بخير الدين فوجم لها وقبض على الاعيان وقتل من ثبتت مداخلته وثار مسعود على اخيه صاحب تلمسان فاستغاث بخير الدين فامده في الجيش والذخيرة وانجلت الفتنة بالقبض على مسعود ولما رأى خير الدين اختلال الاحوال وكثرة الثوار داخل الجزائر وخارجها اجمع على الرحيل منها والعود الى الغزو على ثغور الافرنج فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر وما يليها وفوض اليه امورها ثم سار باهله واتباعه ومن اختاره من الجنود البحرية الى جيجل فانزل

بها اهله واقبل على الغزو فتزلزلت اقطار الافرنج منه وتناذروا به من عواقبهم وزحف ابن القاضي الى الجزائر بجنوده فدخلها وتمكن من الاستيلاء عليها ولحق حسن آغا بخير الدين ثم انتقض صاحب تلمسان ونبذ الطاعة وخطب لنفسه واستمر خير الدين على غزواته ثلاث سنين واتفق انه اغزى بعض قواده في القرصان الى الثغور الافرنجية فالجأته الرياح الى الجزائر فمنعه ابن القاضي من دخول المرفأ فرجع الى خير الدين واطلعه على ما كان من ابن القاضي فعظم عليه ذلك وحركه الى العود الى دار امارته واستدعى انصاره من كل ناحية وسيرهم في البروسار في مراكبه بحرًا واستعد ابن القاضي لحربه واقتتلوا برًا وبحرًا وفي اثناء الحصار عدا على ابن القاضي بعض اتباعه فقتله وتقدم خير الدين الى الجزائر فدخلها واعظم النكاية في اتباع ابن القاضي وكان قره حسن عندما استولى ابن القاضي على الجزائر عدل عنه الى شرشال ودعا لنفسه فنهض اليه خير الدين بعد فراغه من ابن القاضي ففرق جموعه ثم قبض عليه وقتله وسكنت عواصف ابن القاضي وبقي اولاده في الجزائر على اسوء حال وله عقب فيها لهذا العهد ولما تمهدت البلاد لخير الدين اقبلت عليه الوفود من آفاق المغرب الاوسط ونواحيه يطلبون العفو فعفا عنهم واذعن له صاحب تلمسان فعفا عنه واقره على ما كان عليه من المشارطة ثم سار في المغرب الاوسط يتفقد مسالكه وثغوره ويفرض المغارم على اهله وفرق فيهم العمال من قومه وشن الغارات على طواعن زناتة والعرب واثخن فيهم حتى اذعنوا له وكان للاسبانيول حصن على جزيرة صغيرة تجاه الجزائر فلما فرغ من شواغل الداخلية اعتزم على تخريبه واتفق ان بعث ملك اسبانيا ثمانية مراكب مشحونة بالجنود والذخيرة مددًا للحامية فلما دنت من الحصن وتراءت لاهل الجزائر سار اليها قائد البحر وحال بينها وبين الحصن ثم غنمها وساقها تباعًا الى المرفأ وكان ذلك اليوم يومًا مشهورًا وبعد ايام نهض خير الدين الى ذلك الحصن واقتحمه بجيشه واثخن حاميته قتلاً واسرًا واستولى على مهماته وخربه وبنى باحجاره جسر باب الجزيرة احد ابواب الجزائر واتصل خبر الحصن والمراكب بكارلوس ملك اسبانيا فجهز اساطيله وجنوده لنظر القائد اندريه المشهور وامده ملك فرانسا بعشرين مركبًا وطار الخبر الى خير الدين فتجهز لرفقته وسار في البحر مترصدًا لاندريه في طريقه فلم يصادفه واستمر غازيًا على الثغور فاثخن فيها وخرب حصونًا كثيرة وامتلأت مراكبه وايدي جنوده من المغانم وانقلب راجعًا فبلغه ان اندريه محاصرًا لاسكلة شرشال فسار اليه على هيئته

فوجده اقلع عنها و بعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظفر بعدة مراكب لهم ولدولة فرنسا وقفل الى الجزائر واستمر يغزو بلاد الافرنج ويعظم النكاية فيها الى ان استحضره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر المرة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومرّ على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا نعاث فيها واستمر في مروره يخرب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة فاكرم السلطان نزله واكبر شانه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذٍ اندريا دوريا الجينوي رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاخذ خير الدين يترصده ويذيقه نكال الحرب الى ان اعجزه ولحق بثغور اسبانيا وخلا البحر لخير الدين فقصد جزائر الموره ففتحها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسى على بنزرت واستولى عليها ثم مد عينه لاخذ تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلأت قلوب اهل الحضرة رعباً منه وفر صاحبها ابو محمد الحسن ولحق بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وبعث صريخه الى ملك اسبانيا فبادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر البابا من رومه الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على شانه فامدوه بالمراكب والجنود والمهمات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحاصروها اياماً ثم خرجوا الى البرّ وزحفوا اليها فالقيهم خير الدين بجنوده في خربة الكلخ خارج البلد واقتتلوا وكان في قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتهزوا الفرصة حين القتال وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من خلفه فاختل مصافه وهزمت جيوشه ولحق خير الدين ببونه ثم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس بما فيها واستباحوها ثلاثاً وقتلوا نحو ستين الف نفس صبراً وشنوا نفوسهم من المسلمين وجاء الحفصي من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا وفرضت عليه ضرائب متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في تونس والتملك بها واتخاذ الكنائس والاديرة ثم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن ابو محمد الحسن الحفصي من امره واقام على ذلك الى ان ثارت العامة ونقموا عليه وطيروا الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لابيه على بونه فاسرع السير الى تونس وفر والده الى القيروان فقبض عليه ابو الهول شيخ العرب فسمل عينيه واشخصه الى القيروان فاعتقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر عقب انهزامه من تونس اخذ يتاهب لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها وانتقى

العساكر وسار غازياً ثغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب للافرنج فاستولى عليها واستاقها الى الجزائر ثم غزى بلد ماهوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمها ناراً وانكفا راجعاً ولم يزل يتابع غزو الثغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله الى الاستانة فاكرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجرى خير الدين على عادته في غزو ثغور العدو من الاستانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقر السلطان الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه الفرمان والخلعة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقتفى اثر والده في الشدة والحزم والاجلاب على الثغور الافرنجية وضايقهم حتى استخفوا امر والده وغزا جبل طارق واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فتزلزلت بلاد اروبا وامتلأت القلوب منه رعباً وايقنوا بخراب ثغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس وكانت دول اروبا ترجع اليه في ازمانها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مركب وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب من تل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخير الدين اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غزت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على طائل بل انتهبت اموالها وفنيت عساكرها وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاء الله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث نوء شديد براً وبحراً فلعبت الرياح بالمراكب والقت منها ما يزيد على مائة مركب الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه الغرق وانتهز الفرصة والي الجزائر فخرج بجيشه وحمل على المعسكر فانهزم الافرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من مراكبه ببلاده ورمى بتاجه الى الارض واقسم ان لا يضعه على راسه الا بعد استيلائه على الجزائر فلم يساعده القدر الالهي على ذلك وفي اثناء هذه الفتن انتقض اكثر قبائل البربر ونبذوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجهته الى تدويخ البلاد وقطع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم يزل يجول في الانحاء ويبث السرايا في الجهات الى ان دان الناس لطاعته واسترد مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء بسكره والزيبان ثم رجع الى الجزائر وتوفي بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق واستفحل امرهم فيه فدعتهم نفوسهم الى الاستيلاء على تلمسان دار ملك بني زيان فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة موت حسن باشا فلما افضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ اثقالهم ونهض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين الى فاس واستمر حسن باشا سائرًا الى ان دخل تلمسان فاتلج شانها وولى عليها رجلاً من بني زيان اسمه حسن وقفل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن خير الدين فارتاح الناس الى توليته وكانت اسبانيا استولت على بجايه فابتدر صالح باشا اليها ونازلها برًّا وبحرًا ثم اقتحمها بجيوشه واستاصلها ثم سار الى قسطنطينة فاستولى عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزياني مع بقايا بني عمه فتفرقوا اوزاعًا في الجهات والبقاء لله تعالى وانتظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا من حدود وبلده من بلاد المغرب الاقصى الى الكاف من بلاد افريقية وبعد ان رجع الى الجزائر توفي وتولى اخوه حسن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم وهران بجنوده الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فتعرض له وانتشب الحرب بين الفريقين فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حملت اهل الجزائر على العمل بقوانينها وانها تعين عليها حاكمًا من قبلها وتمده بما يلزمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن خير الدين وبعثت محمد باشا كوداوزلي ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل تونس سئموا من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي وانقهم الضجر من ظلمه فدس وزيره ابو الطيب الخضار الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعده بتمهيد الطرق الموصلة الى الاستيلاء عليها فجهز علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من القاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجمعان بباجه ووفى الخضار بوعده فخذل صاحبه والقى الرعب في قلوب عساكره فتفرقوا اشتاتًا وفر ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان وتقدم علي باشا بجموعه الى

الحضرة فدخلها وقتل ابن الخضار وولى حيدر باشا على تونس وانقلب راجعاً الى الجزائر واستجاش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع ابوالعباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان وتقدم محمد بن الحسن الى عساكر اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع الزيتونة اصطبلاً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة جهزت الدولة الوزير المشهور سنان باشا فسار في جيش كثيف لانقاذ تونس من يد اسبانيا واوعزت الى والي الجزائر ووالي طرابلس الغرب بمظاهرته فاستعد كل واحد منهما وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بحاميته ومن انقاد اليه من العرب والبربر وتكاملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاستانة فاعتقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقرضت دولة بني حفص منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيفاً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وثبتت قدم سنان باشا في تونس واستفحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلحم الثوار ومن عهده صارت الولاة تختلف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والف فاتفق مع يوسف داى والي تونس على تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلاثين والف تولى خسرو باشا على الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والف انتقضت جزيرة كريت على الدولة واستبدوا بامرهم فاوعزت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فسار اليها في اسطوله وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عقد الصلح مع السلطان الغازي سليمان خان سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة هجرية وخمس وعشرين وخمسمائة والف ميلادية واباح له السلطان حرية مراكب فرانسا في البحر الابيض تسافر فيه حيث شاءت

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور فرانسا وتخرب حصونها الى ان آل امر فرانسا الى الملك لويس الرابع عشر فجهز نحو ستة آلاف جندي في ستة عشر مركبًا لنظر القائد الدوك دي بوفور فاقلع من طولون في مراكبه سنة اربع وسبعين والف من الهجرة مترصدًا مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحًا وفي سنة ست وسبعين وقع الصلح ولما تولى بابا حسن على الجزائر سنة اثنتين وتسعين والف اغزى مراكبه الى الثغور الفرنساوية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال توروفيل من طولون في عمارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغاديها القتال ويراوحها ثم سئم الاقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة اكثر من الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعته مال الى السلم وبعث الى رئيس العمارة في ذلك فاجابه اليه واشترط عليه امورًا انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد فاشهر الحرب على المراكب الفرنساوية ورماها بالقنابل فاستشاط توروفيل غضبًا وارسل على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويضعونهم في افواه المدافع ثم يرسلونها فتتطاير اشلاؤهم مع القنابل في الهواء وارتكبوا في ذلك ما لا يسوغ شرعًا ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال توروفيل اقلع عن الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغزى ثغور فرانسا ورجع بالغنائم وفي سنة مائة والف جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها لنظر المارشال دي ستري فنازل الجزائر والح عليها برمي القنابل واقام على ذلك خمسة عشر يومًا حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد الصلح وفي سنة اربع ومائة والف تولى على الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى تونس بجيوشه فدخلها بمداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليها وفر محمد باي الى داخلية افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقفل الى الجزائر وكان شعبان المذكور يبغض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة العرب القاطنين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقًا كثيرًا وكثر تعسفه واشتدت وطأته فقبض عليه الجند وقتلوه خنقًا وتولى الجه احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولحق ابن شكر بالمغرب الاقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فثار عليه مراد باي بن علي باي وتداول تونس من يده واستفحل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقيه علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزه الحرب فكانت الدبرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو محاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينهما فانهزم مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفا راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكاف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهزم وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رفع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريرات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نقمه عليه فعزله ونفاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يترصد الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والف ثم قبض على الاخوين العالمين السيد احمد والسيد علال ولدى العلامة المؤلف الشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول مفتياً للمالكية والثاني قاضياً لهم فقتلهما في محبسهما خنقاً وقد انتقم الله منه بمثل فعله فسلط عليه ابراهيم آغة العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبدي باشا وكانت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعمائة اخذتها من يد ابي كلون آخر ملوك بني زيان ولم تزل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها براً وبحراً فلم تات بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز الى حاكم معسكر مصطفى باي ابي الشلاغم بظاهرة الجيش والنظر في امره فنازلوها اول يوم من ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهلها الى برج المرسى وتحصنوا فيه فلحقهم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين اقتحموا الحصن واستاصلوا اهله واستقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والف وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان والي الجزائر عبدي باشا فجهز ولده محمدا في عدة مراكب وبعثه الى وهران فنازلها ثم توفي عبدي باشا واقلع ولده محمد راجعًا الى الجزائر وكان حسن بن علي والي تونس ظاهر جيوش اسبانيا على اخذ وهران وامدّهم بالذخيرة فحفظها له ابراهيم الخزناجي مستشار عبدي باشا ولما انفضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معتقلاً في الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بمظاهرته فنهض يونس من الجزائر واجتمع بحاكم قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحنانشة وابو رنان شيخ عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بجموعهم واتصل الخبر الى حسين بن علي فزحف اليهم والتقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت الدبرة على حسين بن علي فانهزمت جيوشه ولحق هو واولاده بالقيروان واستولى يونس على الحضرة وانقلبت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال عمه وهو بالقيروان فقام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصرًا للقيروان احد عشر شهرًا ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولحقوا بقسنطينة متنصلين عما وقع منهم وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناجي باشا نيابةً عن والده فتقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفي والده بقسنطينة ولحق محمود وعلي باخيهما محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الى ان مات الخزناجي باشا وتولى خوجه ابراهيم باشا وكان الخزناجي عهد اليه عند موته بمساعدتهم فلما تمكن من امره سيرهم في الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بمظاهرتهم وقبل وصولهم الى حدود تونس حصل الخلل في العسكر وتفرقت الكلمة بين حاكم قسنطينة واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فانقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفي علي بن حسين ابن علي واقام اخواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والف توفي الخوجه ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والف عدا عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابو اصبع وكان حسن باي المعروف بازرق العينين ابن اخت علي باشا المذكور واليًا على قسنطينة فاتفق رايه مع خاله على اخذ تونس من يد يونس باي وردها الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة على يونس باي واظهر له المودة فركن اليه والقى اليه بمقاليد اموره ولم يزل ينصب له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستصفى امواله وبنى عليه حائطًا من خشب

فبقي في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي يتوارثونه خلفا عن سلف لهذا العهد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والف توفي علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحًا زاهدًا حسن السيرة محبًا للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سردينيا والبرج الجديد وبرج راس العين واصلح قناة الحامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابراج والحصون وخوابي من رخام في شوارع البلد واوقف اوقافا جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ الغجون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والف انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر القبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعانتها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبطوط اتخذوا قرصانا وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يصادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تأمر حكامها في الجزائر بقطع عاديهم فجهز محمد باشا المجاهد القبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهملة وولاية قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهؤلاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبئ بان وجود واليين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سالف امرها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديتها عن ثغورهم ما عدا دولة اسبانيا فانها كانت تتلون فتارة تدفع ضريبتها وتمتنع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى الجأ اهلها الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة الآف اسير فجمع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجهز خمسمائة مركب مشحونة بالعساكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والف فنزلت

الجيوش الى البر وخيمت بوادي الحراش وكان محمد باشا المجاهد مستعداً لمدافعتهم واستنهض حاكم قسنطينة وحاكم معسكر بجموعهم الى حضرته فاجتمعت الجيوش الاسلامية وكانت مراكب اسبانيا سبقتهم الى الجزائر فخيم صاحب قسنطينة في جهة الجنوب من معسكر العدو وخيم صاحب معسكر في الجهة الغربية وخرج محمد باشا بجنوده ودارت الجيوش بالمعسكر ثم هجمت عليه دفعة واحدة فاشتعلت نار الحرب من كل جهة وجاس المسلمون خلال الخيام واستلحموا المعسكر بتمامه واستولوا على ذخائره ومحاته ولما راى من بقى في المراكب من الجيش ما وقع باخوانهم رفعوا الرايات السود على صواري المراكب اعلاناً بالحزن واقلعوا على تلك الحال راجعين الى بلادهم وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة والف توفي ابرهيم باي حاكم معسكر وتولى مكانه الشهم الهمام محمد باي بن عثمان الكردي وفي سنة ثمان وتسعين عادت عمارة اسبانيا لمنازلة الجزائر واناخوا عليها اربعة ايام يرسلون عليها القنابل فرجعوا من غير طائل ثم نازلوها في السنة التي بعدها وانقلبوا خائبين وقد احسوا من انفسهم بالعجز وراوا ان جنودهم قد فنيت وثغورهم خربت فجنحوا للسلم وضرعوا الى محمد باشا المجاهد في كف عاديته عنهم ثم اوفدوا عليه رئيس العمارة يطلب الصلح فرده خائباً ثم اعادوه اليه على ان يشترط عليهم ما شاء فاجابهم الى مرغوبهم وانعقد الصلح بينهم على شروط منها ان تدفع دولة اسبانيا لحكومة الجزائر مليوناً ونصف مليون فرنك في كل سنة وان تدير المبادلة في الاسارى رأساً براس والذي يبقى الف ريال شينكو عن كل راس وان وهران خارجة عما انعقد عليه الصلح وتم الامر على هذا سنة مائتين والف

﴿ ذكر فتح مدينة وهران ﴾

قد امتدت العمارة الاسلامية بمدينة وهران الى سنة خمس عشرة وتسعمائة ثم استولت عليها دولة اسبانيا من يد ابي كلدون الزياني ثم لما تولى محمد باشا المجاهد على الجزائر كان يميل الى محمد باي الكردي حاكم معسكر لمتانة دينه واستقامة احواله كتب اليه في الجهاد وحرضه على منازلة وهران فكان محمد باي ينازلها وياخذ بخنقها واستمر على ذلك من سنة ثلاث وتسعين ومائة والف الى سنة خمس ومائتين فجاء الامر في ملازمتها والاقامة عليها فشمر الباي عن ساعد الجد وجمع الآلة والمهمات الحربية وجمع اوزاعاً من القبائل وانزلهم على السبل المؤدية اليها ليقطعوا مواصلة بني عامر وغيرهم

من المنتصرين للاسبانيول ثم انتقى طلبة العلم من المدارس وانزلهم في جبل المائدة المطل على البلد ليمنعوا اهلها من الاعتصام به واخذ في حفر الخنادق واللغوم وبناء الاستحكامات ولما بلغ ملكهم الخبر ارسل المدد الى حاميتها وقد استشهد سيدي الجد السيد محمد المجاهد في معركة حرب بساحتها فحمل منها الى غريس مع بعد المسافة ودفن في مقبرة اسلافه ثم وقعت زلزلة عامة في جميع المغرب الاوسط واشتدت في وهران فسقط اكثر دورها على اهلها وهلك الحاكم وعائلته وتوالت المصائب عليها فرفعوا امرهم الى ملكهم فبعث الى والي الجزائر في الهدنة مدة شهر لينظر في امره فاجابه الوالي الى ذلك وجاء الامر لمحمد باي بتوقيف الحرب فتاخر في معسكر وضرب الاجل لحاكم وهران ثلاثين يوماً وقبل تمامها غدروا بالمسلمين ورفعوا رايات الحرب وطار الخبر الى محمد باي فسار واناخ على وهران وجاءه المدد من الجزائر فاعظم النكاية في الاسبانيول واحجرهم في منازلهم وزحف الى السور ووضع المدافع والهواوين في الاستحكامات وعكف الرماة يرسلون عليها القنابل حتى اندكت اكثر ابراجها ودورها واشتد الامر على اهلها وعجزوا عن الذب عنها ثم توفي محمد باشا المجاهد وتولى مكانه مستشاره بابا حسن فطير الخبر الى محمد باي في مكانه من حصار وهران وبعث اليه بالامر المؤذن بتجديد امر الولاية له ثم ان ملك اسبانيا لما علم ان محمود باي قوي العزيمة عظيم الرغبة في فتح وهران كتب الى بابا حسن باشا والي الجزائر في تسليمها واشترط ان يسلمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشهم وان يخربوا جميع ما احدثوه فيها من الابراج والقلاع فاجابه الوالي الى ذلك على ان يدفع مصاريف الحرب فقبل الملك وبعث الوالي الى محمد باي يامره بالافراج عن البلد فارتحل الباي وجيوشه واخذ الاسبانيول ينتقلون منها الى ان فرغت وخربوا ما وقع الاتفاق على تخريبه فتقدم الباي الى ساحتها وارسل في المدائن والضواحي للحضور في دخولها فهرع الناس اليه ودخلها واخذ في ترميم ما تثلم من سورها واماكنها وفي اقرب مدة عمرت دورها واسواقها ومساجدها وانتقل الباي اليها من معسكر باهله واعيان حكومته وأرّخ فتحها العلامة السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي بن دح بقوله

بشرى لنا قد بلغنا غاية الارب * بفتح وهران ذات العجب والعجب
ارخت للقوم ذاك العام مبتدراً * قالوا فما الشهر منه يا اخا العرب
فقلت في نظم ما راموا لؤارخه * وهران طار لها الاسلام في رجب

ثم توجه الباي الى الجزائر لتأدية التهنئة للباشا بفتح هذه المدينة التي طالما اهتمت الحكومة بشانها واجتهدت في فتحها فابى الله الا ان يكون على يديه وفي ايامه فاكرم الباشا نزله واكبر وفادته ثم قفل من الحضرة شاكيًا وبوادي مينة اشتد وجعة ومات فحمل ودفن بوهران فارتج المغرب الاوسط لفقده وعم الحزن اقطاره وكان يحب العلماء والصالحين ويعظمهم واخذ الطريقة القادرية عن العلامة الجد سيدي السيد مصطفى ولم يزل قائمًا بخدمته ساعيًا في مرضاته الى ان توفي وتولى على وهران ابنه عثمان باي

ذكر غير ذلك

وفي سنة سبع ومائتين والف تاخر اداء الضريبة المفروضة على دولة امريكا لحكومة الجزائرية فغضب الباشا واخرج قناصلها من الجزائر وسائر الولايات وجهز القبطان الشهير الحاج محمد في اسطوله ليترصد مراكبهم فغنم نحو العشرين مركبًا واغزاه مرة اخرى فظفر بغيرها ثم ان دولة امريكا جنحت للسلم فاجابها الباشا على ان تؤدي له مليونين ونصف مليون من الريال الشينكو فادت له ذلك ورجعت قناصلها الى الجزائر وفي سنة اثنتي عشرة توفي الباشا بابا حسن وتولى مكانه ابن اخته مصطفى الخزناجي وفي سنة ثلاث عشرة كانت حادثة نابليون الاول في مصر واوعزت الدولة العلية الى مصطفى باشا باشهار الحرب عليها ليشغلها عن مصر فاحضر الباشا قنصل فرنسا الجنرال واظهر له شدة حنقه على فرنسا لسوء معاملتها مع الدولة العلية ثم اوثقه في الحديد واسلمه الى دائرة الاشغال الشاقة وفعل ذلك ببقية قناصل فرانسا في الولايات وجهز قائد البحر في الاسطول واغزاه الى ثغور فرانسا فاثخن فيها قتلاً واسرا وغنم عدة مراكب لهم وفي سنة سبع عشرة عزل عثمان باي ابن محمد باي فاتح وهران عن ولايتها وتولى مصطفى باي من اخصاء الباشا

ذكر اخبار محمد ابن الشريف الثائر على ولاية وهران

اصله من الكسانة قبيلة من الدرير بوادي العبد قبلة غريس اخذ العلم في صغره عن سيدي الجد السيد محي الدين في مدرسة بالقيطنة ثم رحل الى المغرب الاقصى فاخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي وسلك طريقته وقفل الى وطنه وجاء الى حضرة سيدي الجد زائرًا وفي بعض الايام تكلم بحضرته بما يوجب تاديبه

شرعًا فادبه سيدي الجد بالسياط واستتابه ثم رجع الى وطنه ولحق بقبائل حميان وشافع ودعا لنفسه سنة سبع عشرة ومائتين والف وادعى انه المهدي المنتظر فصدقه الناس وقاموا بنصرته فاخذ يستلب الانفس والاموال ويخرب العمران واتصل الخبر بباي وهران فنهض اليه بجيوشه والتقى الفريقان بغريس فانهزم الباي وتفرقت جيوشه ولحقت بوهران واستولى ابن الشريف على اثقاله ثم سار في جموعه حتى وقف بساحة وهران فاناخ عليها وطار الخبر الى الجزائر فجهز الباشا مستشاره علي آغا وبعثه على طريق البرنغال ابن الشريف فتعرض له البربر في نواحي وادي شلف وصدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشًا فلاذ بشيخ العطاف واستجار به فمشى له في القبائل على ان يدفعوا عاديتهم عنه فابوا عليه الا بمال يؤديه اليهم فادى لهم ما طلبوه وانقلب راجعًا الى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه من حصار وهران وضيق على اهلها حتى نفذت اقواتهم وتمت له الطاعة من تلمسان الى المدية ثم افرج عن وهران وسار ينتقل في النواحي الى سنة ست وعشرين ومائتين والف فبعث الباشا من الجزائر معتمده محمد باي المعروف بالمقلش في عسكر وقلده ولاية وهران فركب في الاسطول من شرشال وبوصوله الى وهران قبض على حاكمها مصطفى باي واشخصه الى الجزائر وكتب الى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة فاجابه اكثر القبائل وركنوا الى طاعته وامرهم بالمعسكر معه فهرعوا اليه من كل جانب وفرق فيهم الاموال ونهض من وهران بجموعه يريد ابن الشريف وتزاحفا في غريس ولما تولى النهار انكشف ابن الشريف بجموعه وانتصر الباي عليهم وفر ابن الشريف باهله واولاده الى نواحي تلمسان ثم لحق بجبل بني يزناسن من اعمال المغرب الاقصى ولا زال مقيماً فيه الى ان مات فرجع اهله واولاده ونزلوا في حمى سيدي الجد بالقيطنة لائذين به فعفا عنهم الباي حفظًا لذمته ورعايةً لمقامه واذعن الناس للحكومة وتسابقوا للدخول في طاعتها وذهب ابن الشريف وطوى بساطه ثم خرج الباي من معسكر لتمهيد البلاد فاخذ ضرائبها وجبى اموالها وقفل الى وهران وثبتت قدمه في ولايته سمعت سيدي الوالد يقول انما لم ينجح ابن الشريف في امره لكونه كان ممقوتًا عند سيدي الجد فمقته الناس وبعد رجوع الباي الى وهران توجه اليه سيدي الجد ليهنئه بانتصاره فاكرم نزله واعظم وفادته ولما انطلق من عنده قال الباي الى جلسائه نحن لا نخشى من ابن الشريف وامثاله وانما نخشى من صولة هذا يشير الى سيدي

الجد رحمه الله تعالى

ذكر اخبار ابن الاحرش

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين والف ثار ابن الاحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الاقصى رحل من بلاده للحج ولما اجلب نابوليون الاول على مصر جمع ابن الاحرش جيشاً من اعراب المغربين وافريقية وانضم الى الجنود المصرية لقتال نابليون وابلى في تلك الحروب بلاء حسناً فاكتسب الشهرة ولما انقلب نابليون الى فرنسا قفل ابن الاحرش راجعاً الى المغرب واحتل بتونس ولقيه صاحبها حموده باي واكرم نزله وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالمظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الاحرش وخرج من تونس الى نواحي قسنطينة ودعا لنفسه واشتدت شوكته في تلك الجهات وزحف الى قسنطينة بجموعه فخرج اليه حاكمها بجيشه ووقعت بينهما حروب انهزم في آخرها حاكم قسنطينة وترك ذخائره فتقوى بها ابن الاحرش وعظم الخوف عند الباي ففر الى تونس باهله واولاده واتصل الخبر بمصطفى باشا والي الجزائر فاحضر عثمان باي ابن محمد باي وبعثه حاكماً على قسنطينة وفوض اليه في مدافعة ابن الاحرش وبوصوله اليها كتب الى رؤساء القبائل الدائنين بطاعة ابن الاحرش يهددهم ويخوفهم عاقبة امرهم واخذ يتهيأ للحرب وخيم خارج البلد في سطح المنصورة واستجاش بمن بقي من القبائل متمسكاً بطاعتهم وارتحل نحو ابن الاحرش وعسكر في سهل وادي الزهور فامر ابن الاحرش بالنهر فسد ثم اطلق على المعسكر اول الليل فما طلع الفجر الا والماء قد عم السهل كله وهجم عليهم ابن الاحرش بجموعه فاستلحمهم وقتل الباي وكان الباي لما خرج من قسنطينة استصحب معه جميع ما في الخزائن من الاموال والذخائر فاستولى عليها ابن الاحرش وامتلأت ايدي جيوشه من المغانم ثم ان باشا الجزائر فوض الامر الى قائد الخشنة وولاه على قسنطينة وكان هذا القائد له مصاهرة مع العرب فاستجاش باصهاره وعبى كتائبه وبرز من قسنطينة لمدافعة ابن الاحرش فانهزمت جيوش ابن الاحرش وتفرقت وفر بنفسه ولحق بابن الشريف في الجهة الغربية وبقي في معيشه الى ان دس له من قتله من اصحابه

ذكر غير ذلك

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين دخل يحيى آغا على رئيس اليهود في الجزائر وقتله

في منزله ولما رأى الناس اهمال الحكومة للامور وتغافلها تداعوا في ثاني يوم الى استئصال اليهود ونهب اموالهم فاجتمعوا ودخلوا الى محلة اليهود فاثخنوهم قتلاً واكتسحوا اموالهم وجمعوا اشلاءهم خارج البلد واضرموها نارًا ثم امر الباشا بالقبض على كل من ثبت حضوره في هذه الفعلة فامتلأت السجون بهم وامر ان يُصلب منهم كل يوم عشرة انفس فصلبوا عن آخرهم وفي سنة عشرين ومائتين ثار العسكر على الباشا ونقموا عليه سوء معاملته لهم وقتلوه في الزقاق وتولى احمد خوجه فاطلق ايدي العسكر في الرعايا فكثر الفساد وكان في قلبه شيء على عبدالله باي حاكم قسنطينة فقتله واستصفى امواله ومدّ يده الى الخزينة فباع جميع ما فيها من النفائس وحمله الى دار سكناه وبعث الى حموده باي حاكم تونس في دفع الضريبة المفروضة على حكومة تونس لحكومة الجزائر فاستنكف ونقض العهد فجهز اليه القبطان حميدو وفي الاسطول نغنم ثلاثة مراكب تونسية بما فيها ثم اغزى جيوشه الى تونس على طريق البر فلقيهم حموده باي بجموعه فاوقعوا به واستولوا على معسكره وفي سنة ثلاث وعشرين تزاحف الفريقان واقتتلوا بنهر سراط فكانت الهزيمة على حموده باي ايضًا وبعد رجوع العسكر الى الجزائر اظلم الجو بينهم وبين احمد باشا فثاروا عليه وقتلوه وسحبوه في ازقة الجزائر اهانة له ثم تولى ابو الجوالق فامر بنفي القبطان حميدو الى الشام وفي سنة اربع وعشرين ومائتين والف تغلب علي باشا على ابي الجوالق وقتله خنقًا وتولى مكانه واعاد القبطان حميدو من الشام فاكرمه ورفع رتبته وفوض اليه امر البحر ثم اغزاه الى جبل طارق فلقي مراكب البورتغال نغنم منها مركبًا واغزاه الى صقلية فامتلأت مراكبه بالغنائم وفي سنة خمس وعشرين اغزاه الى جربة من اعمال تونس فاستولى عليها وطار الخبر الى حموده باي فجهز ثلاثة عشر مركبًا وبعثها الى جربة لقتال حميدو فلقيهم بالقرب من جزيرة قرقنه وانتشبت الحرب بينهم فكانت الدبرة على مراكب تونس وفي سنة ست وعشرين اغزاه الى تونس واحتل بحلق الواد وتاخر حموده باي عن اللقاء واحجر داخل الحضرة فاقام حميدو اياماً ثم اقلع راجعًا الى الجزائر وفي سنة سبع وعشرين اخذ الباشا يتأهب لمنازلة تونس وبعث الى حكام الولايات في جمع الجيوش والنهوض بها الى حضرته فتغافل حاكم وهران واظهر الاستبداد فوجه لها الباشا وسير عمر آغا في جيش على طريق البحر الى وهران وكان اعيانها قد انحرفوا عن حاكمهم ونقموا

عليه ما اظهره من الاستبداد وكان اعيان الدوائر والزمالة اوقعوه في هذا الامر وزينوه له ووعدوه بمظاهرة الرعية وهو يومئذٍ مخيمٌ ببره فلما انقلب الى وهران قام عليه الجند واعيان البلد وقبضوا عليه وبوصول عمر آغا الى وهران سلموه اليه فذبح اولاده على صدره وهو ينظر اليهم ثم سلخه وحشى جلده قطناً وارسله الى الجزائر نعلق على باب الجديد منها واستصفى امواله ثم اخذ يتأهب لحرب حاكم تونس فجمع الجيوش وسار بهم وكانت جموع تيطرى وقسنطينة تنتظره بالقرب من التخوم لان الباشا فوض اليه امر الحرب فنهض بالجموع الى تونس ولما تجاوز حدودها اتصل به ان الاسطول الجزائري بعد ان ارسى في حلق الواد اياماً انقلب راجعاً من غير طائل وفي سنة ثمان وعشرين خرج القبطان حميدو غازياً على الثغور الافرنجية فصادف في طريقه مراكب كثيرة للدانمارك فاستولى عليها وفي هذه السنة انعقدت الهدنة بين حكومة الجزائر ودولة البورتغال على ان تؤدي دولة البورتغال لحكومة مليونين ونصف مليون فرنك وان تنقد لها فدية اسراها وفيها سار القبطان حميدو غازياً الى ثغور اليونان فاثخن فيها بالقتل والاسر وغنم عدة مراكب لهم وانقلب راجعاً فرفع ملك اليونان امره الى السلطنة السنية فبعثت الى باشا الجزائر توبخه على ذلك وامرته برد جميع ما اخذه لليونان وفي سنة تسع وعشرين اتصل به ان اليهود لبسوا نساءهم الثياب الخضر فقبض على اعيانهم وقتلهم واحرقهم وكان هؤلاء الاعيان اكلوا اموال الناس بانواع الحيل والدعاوي الباطلة فالزم الباشا اقاربهم بدفع جميع ما ثبت عليهم وفي سنة ثلاثين ومائتين اتفق عمر آغا وكان عزل عن وهران مع عبدالله وكيل الخرج على قتل الباشا فدخلوا عليه وهو في الحمام فذبحوه وتولى محمد الخزناجي وهو في سن التسعين وكان محبوباً عند اهل الجزائر وفي اليوم السابع عشر من ولايته دخل عليه عمر آغا في محله فقتله وتولى مكانه فاغزى القبطان حميدو الى جبل طارق فصادف مراكباً لدولة امريكا فصادفوه القتال وكانت الدبرة عليه فقتل هو وجماعته وغنم الامريكانيون مراكبه ثم آل الامر بعد ذلك الى انعقاد الصلح بين الفريقين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين جهز الانكليز وهولانده عمارة مختلطة بينهم لنظر اللورد اكسمون وبعثوه الى الجزائر ولما وصل اليها كتب الى عمر باشا انا اللورد اكسمون قائد العمارة الانكليزية الهولاندية اعلن لك انني لا ارغب في سفك الدماء ولا ارضى بخراب البلاد ولكن اطلب معاهدة مربوطة بشروط اولها اطلاق الاسارى عموماً من غير استثناء ثانيها ارجاع ما دفعته

لكم سردينيا ونابولي في السابق عن اسراهم ثالثها ابطال عادة الاسر بالكلية رابعها ان تكون هذه الشروط بعينها جارية بين حكومة الجزائر وباقي الدول فاجابه عمر باشا بقوله لا جواب عندي الا الضرب بالمدافع وفي الحال امر باطلاق القنابل على العمارة وانتشب الحرب بين الفريقين الى المساء وفي صبيحة اليوم الذي يليه شبت النار في المراكب الهولاندية ولاتصال بعضها ببعض مع شدة الهواء احترقت عن آخرها واتصلت النار ببعض مراكب الانكليز وهاج البحر وتلاطمت امواجه فاقلع اكسموث بما سلم من عمارته وتوغل في البحر ولما سكن رجع الى الجزائر وخاطب الباشا بخطابه الاول فقبل شروطهم وانعقد الصلح بين الباشا واكسموث ولما شاع هذا الخبر في الجزائر ثار الجند على عمر باشا ونقموا عليه قبول الشروط الانكليزية فقبضوا عليه وقتلوه خنقًا وولوا مكانه علي خوجه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف فاشاع النكير على اعيان الحكومة واكثر من قتل الاتراك وجعل بطانته من العرب واخذ الناس بالارهاب والسطوة واظهر الميل الى العمل بالشريعة المطهرة والقيام بوظائفها واعلن بالمحافظة على الصلوات في اوقاتها ومن وجد في دكانه بعد الاذان يجلد واشتدت وطاته على المنحرفين عن الشريعة حتى توفي بالطاعون ثم ولي حسين كاتب الخيل واستقر له الامر وفي سنة اربع وثلاثين وقع الصلح بينه وبين صاحب تونس بامر الدولة العلية وفيها عزل حاكم وهران محمد باي ابن محمد باي ابن عثمان الكردي فاتح وهران وتولى مكانه حسين باي

﴿ ذكر قيام السيد محمد التجيني ﴾

اصله من بني توجين امراء تاهرت وكان والده السيد احمد زاهدًا عابدًا صاحب طريق وله مريدون واتباع ولما شاع امره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة انتقل باهله واولاده الى فاس في ايام سلطانها مولاي سليمان العلوي واقام بها الى ان توفي فقام بامر الطريق بعده ابنه السيد محمد ورجع الى بلدهم عين ماذي وهي في الجنوب الشرقي من اعمال وهران وكانت حكومة الجزائر ترهب سطوته وتتوقع خروجه عن طاعتها وفي سنة اربعين ومائتين رحل من بلاده للحجاز برًا واتصل الخبر بحسين باشا فبعث الى حاكم قسنطينة في القبض عليه فافلت منه وبعد رجوعه الى وطنه دعا الناس الى طاعته والخروج عن دعوة الحكومة فوافقته اهل تلك النواحي ونهض من بلده الى

نواحي معسكر فلاذ الحشم ومن اليهم بطاعته وخرج حسين باي حاكم وهران في جيوشه وتزاحف الفريقان خارج معسكر من جهة غريس وعند المصاف تقهقر الحشم ومن وافقهم وانفرد التجيني في ثلاثمائة مقاتل من قبيلة الارباع فعقلوا انفسهم كما تعقل الابل وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وبعث الباي براس التجيني الى الجزائر فعلقت على بابها وارسل سيفه الى السلطان الغازي محمود خان وفي هذه السنة عزل حاكم قسنطينة وولى احمد بن احمد الشريف وهو اول من تولى من العرب على ولاية في الجزائر واطلق عليه لقب باي

﴿ ذكر ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال ﴾

اعلم ان حكومة الجزائر وان كانت قليلة العدد والعدد فقد كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوشها وغوازيها كثيرا ما تسم الثغور الافرنجية بالخسف والدمار ولذا لاذ اكثر ملوكهم بمسالمتها واذعنوا لما تفرضه عليهم دفعًا لعاديتها فكانت دولة انكلترا تؤدي لها ستمائة ليرة انكليزية في كل سنة ودولة فرنسا هدايا ثمينة تؤديها عند تغيير قناصلها ودولة الدانيمرك آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وهدايا نفيسة ودولة هولاندا ستمائة ليرة فرنساوية ومملكة سيسيليا اربعة وعشرين الف ريال شينكو وهدايا قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو ومملكة سردينيا ستة آلاف ليرة فرنساوية والولايات المتحدة بامريكا آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وعشرة الاف ريال نقدية وهدايا تحضرها قناصلها معها والبورتغال هدايا بهية واسوج ونروج الات حربية وذخائر بحرية تساوي قيمة وافرة دندوفر وبرام من المانيا ستمائة ليرة انكليزية واسبانيا هدايا نفيسة وربما حاول بعضهم في بعض الاحيان مقاومتها وتحرك الانتقام منها فلا يصادف نجاحًا فيضطر الى مسالمتها

﴿ ذكر تسلط الفرنسيس على مدينة الجزائر ﴾

ان الفتن في اوروبا منذ زمان لم تخمد لها نار واشدها اضطرامًا ما كان منها في ايام نابليون الاول ولما سكنت بانعقاد الصلح بين الملوك وكانت الفرنسيس يغتصون بهذه الحكومة ويتربصون بها الدوائر حتى اتفق لقونصلهم مع حسين باشا الخصام الذي ادّى لاهانة القونصل حين عقدوا معاهدة تجارية في اصناف الحبوب

مع الحكومة فتقرر لها في ذمتهم اموال طائلة وقارن ذلك حدوث الاضطراب في فرنسا وقيام الامة على ملكهم فتأخر اداء تلك الاموال نحو العشرين سنة ولما خمدت الفتنة جددوا المعاهدة مع الحكومة سنة خمس وثلاثين ومائتين والف هجرية وتسع عشرة وثمانمائة والف ميلادية ومن فصولها ان دولة فرنسا تؤدي للحكومة الجزائرية سبعة ملايين فرنك على يد وكيليها يعقوب كوهين بكري وميخائيل ابي زناك اليهوديين والاداء يكون منجماً اول سنة ست وثلاثين ومائتين والف هجرية وعشرين وثمانمائة والف ميلادية وكان لتجار فرنسا من اهل مرسيليا على تجار الجزائر مليونان وخمسمائة الف فرنك فرفعوا امرهم الى دولتهم وطلبوا منها ان تنقد لهم اموالهم من اصل السبعة ملايين المحكوم بها لحكومة الجزائر فادت دولة فرنسا للحكومة اربعة ملايين ونصف مليون وابقت ما ادعي به تجارها في صندوق الامانة وامرت ان تجري دعوى تجارها مع غرمائهم من اهل الجزائر في مجلس التجارة في باريز فغضب الباشا لذلك وطلب اداء الاموال المحكوم له بها كلها وان تكون مرافعة التجار والغرماء في مجلس الجزائر وادعى ان الحق له في ذلك بموجب العهود التجارية بين الحكومة وسائر الدول وطال النزاع واستمرت فرنسا مصرة على امرها والباشا يطلب الجواب من قنصل فرنسا الجنرال دوفال فيحاوله بالمواعيد وفي اول يوم من شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين والف دخل القنصل دوفال على الباشا لاداء التهنئة بعيد الفطر فشكا له الباشا عدم رد الجواب من ملك فرنسا على كتاب قدمه له فقال له ليس من العادة ان يجاوب الملك من هو دونه بدون واسطة ففهم الباشا من ذلك ان مراد القنصل ان الملك لا يعتني بمجاوبة مثله فاشتد غضبه ولطم القنصل على وجهه بمروحة كانت في يده فعظم ذلك عند القنصل وطير الخبر الى ملكه فجاءه الامر بمبارحة الجزائر فبارحها بمن معه من الفرنساويين المقيمين في الجزائر ثم ان الباشا عدا على من تأخر في البلد من ضعفائهم فاستاصلهم وخرب قلعة دي لاكار وكل بناء للفرنسيس في الجزائر وبونه وبوصول القنصل الى باريز جهزت دولة فرنسا اساطيلها وبعثتها الى الجزائر لنظر الاميرال كوليت فنازلها يغاديها القتال ويراوحها واستمر محاصراً لها نحو ثلاث سنين حتى لانت قوته ونفدت ذخائره وانقرض معظم جيشه وتكسرت اكثر مراكبه وكانت خاتمة امره بقتله ذكر بعض المؤرخين ان النفقة على هذه الحملة كانت اكثر من عشرين مليون فرنك واما حكومة الجزائر فلم يلحقها كبير ضرر ولما علم حسين باشا ان دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر وانها تراجع

منازلتها لا محالة اخذ في تثقيف البلد وتحصين حوزتها ثم انتقل باهله وحاشيته الى القصبة وفي سنة خمس واربعين ومائتين والف هجرية وتسع وعشرين وثمانمائة والف ميلادية بعثت دولة فرنسا معتمدها دي لابر الى الجزائر يطلب الترضية من الباشا فما يلتفت اليه ورده وبعد اقلاعه اطلقت عليه القنابل من برج المرسى واتصل الخبر بملك فرنسا ففاوض اهل دولته فوسطوا محمد علي باشا خديوي مصر ان ينصحه فارسل له كتابا ينصحه ويحذره ويعلمه به بان العاقبة وخيمة فلما قرأه حسين باشا قال للرسول بلغه سلامي وقل له يأكل الفول ولما وصل هذا الجواب الى الخديوي عرف الحكومة الفرنسوية بعدم تاثير نصيحته له فاجمعوا على حرب الحكومة الجزائرية ومناجزتها فجمعوا جنودهم وكانوا اربعة وثلاثين الفا مع مائة واثني عشر مدفعا واستاجروا اربعمائة مركب وسيرتها من طولون الى الجزائر لنظار الاميرال دوبري في الحادي وعشرين ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائتين والف هجرية والتاسع عشر من يونيه سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية تعدل بها عن مرسى الجزائر الى مرسى سيدي فرج القريبة من الجزائر وكانت خالية من العمران الا شرذمة قليلة من العسكر كانت في برج هناك فلما اطلت عليهم مراكب فرنسا تفرقوا وبوصول العمارة الى المرسى اخذت الجنود تنزل الى البر بمهماتها ورفعوا رايتهم على البرج واتصل الخبر بباشا الجزائر فارسل في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد وعقد لصهره يحيى آغا على قتال العدو فنهض من الجزائر في الحشود والعساكر والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدبرة على الاغا وجموعه ثم تلاحقت الجيوش من وهران وقسنطينة وتيطرى وزحف بهم الاغا في السابع والعشرين من ذي الحجة على معسكر الفرنساويين وحملوا عليه حملة رجل واحد واستمروا حتى ادخلوه الخيام ووضعوا راياتهم على الاستحكامات فبهت الفرنسيس من تلك الحملة وتراجعوا وعززتهم فرقة الطوبجية وردوا الكرة على الجيوش الجزائرية فاخرجوهم من المعسكر وهزموهم وتبعهم العدو الى ان ادخلهم معسكرهم في استاوالي ثم اخرجهم منه واستولى عليه بما فيه من الذخائر والمهمات وعرف ذلك اليوم بيوم استاوالي واجتمع في الجزائر حشود العرب والبربر للنهب والسلب بدعوى الجهاد وفي الثالث من محرم سنة ست واربعين ومائتين والف الموافق للخامس والعشرين من يونيه سنة ثمانمائة وثلاثين نهض يحيى اغا من الجزائر بتلك الحشود وانتشب الحرب بينه وبين الفرنساويين فانهزم يحيى اغا وحشوده فتعقبهم العدو الى ان تجاوز استحكامات ابي جارية واستولى عليها بما فيها من المدافع والمهمات

وخيموا عندها وقوى طمعهم في الاستيلاء على الجزائر وفي صبيحة ثامن المحرم ارتحلوا من ابي جارية وضربوا معسكرهم في اطراف البساتين وفي عاشر المحرم اطلوا على البلد وسلطوا عليها المدافع واخذوا يعقرون الاشجار ويعفون الآثار واخذت النار في برج مولاي حسن وكانت فيه خزينة البارود فاحترقت وتطايرت حجارة البرج على البلد فدمرت المنازل ومات خلق كثير تحت الردم وعظم الكرب في مدينة الجزائر واستولى القلق على اهلها وتنبه حاكمها من غفلته ولما علم انه قد فاته التدارك استأمن لنفسه واهله وجميع الاهالي فامنه قائد الجنود الفرنساوية المارشال على شروط وقع الاتفاق عليهـــا

﴿ ذكر المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنساوي بورمون ﴾ ﴿ وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ﴾ ﴿ ست واربعين ومائتين والف هجرية والخامس ﴾ ﴿ من يوليه سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية ﴾

اولاً كافة القلاع المختصة بمدينة الجزائر وابواب المدينة تسلم للعساكر الفرنساوية في صباح السادس من يوليه الساعة العاشرة ثانياً يتعهد القائد العمومي الفرنساوي ان يترك للباشا امواله المختصة به ثالثاً ان يكون لحضرة الباشا الحرية بان يتوجه مع عائلته وامواله الى المحل الذي يرغبه وفي مدة اقامته في مدينة الجزائر يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العمومي الفرنساوي وان الباشا وعائلته يكونون تحت حرس مخصوص رابعاً ان القائد العمومي يمنح هذه الحماية المعطاة لحضرة الباشا لكافة قواد العساكر الجزائرية خامساً تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الاهلية ولدياناتهم ولاملاكهم ولتجارتهم ولصنائعهم وان لا يعارضوا في ذلك وان نساءهم محفوظات معتبرات سادساً ان مبادلة هذه المعاهدة تكون غداً الساعة العاشرة صباحاً وتدخل العساكر قلعة القصبة ويقيمون في قلاع المدينة والشطوط البحرية وفي الغد صباح اليوم السادس من يوليه والثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والف في الساعة التي وقع عليها الاتفاق دخلت جنود فرنسا من الباب الجديد في اعلا المدينة وانزلت رايات الدولة العثمانية من القصبة والابراج وارتفعت رايات فرنسا عليها وتفرقت الجنود الفرنساوية في البلد وتم استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وبلغوا امنيتهم التي

كانوا يتمنون الحصول عليها منذ سنين عديدة غير مبالين بوفاء المعاهدة ولا ملتفتين للقيام باعباء المعاقدة وانقرضت الحكومة الجزائرية وانتثر سلكها وكانت مدتها فيها ثلاثمائة وخمساً وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً تقريباً ولله عاقبة الامور وبعد استقرار العساكر الفرنساوية في المدينة انتقل الباشا وارباب الحكومة الى خارج البلد وخلفهم فيها رؤساء الجنود الفرنساوية وشاع امر الجزائر فاهتزت له المشارق والمغارب وعد عند المسلمين من اعظم النوائب ولو كانت حكومة الجزائر مستعدة لحماية حوزة بلادها آخذة بالحذر من مباغتة العدو لها وكانت جنودها كاملة الاستعداد متمرنة على الحروب عالمة بطرقها ما وصل عدوها الى مرغوبه منها في اقرب مدة وعلى ايسر وجه ولكن استيلاء الكبر والعجب والتعاظم علي رجالها مع ما بلغوه من البذخ والترف اداهم الى اهمال الامور وعدم الاكتراث بها كما وقع بالاندلس ليقضي الله امراً كان مفعولا

﴿ ذكر اخبار الفرنسيس بعد استيلائهم على الجزائر ﴾

اول ما ابتدأ به قائد الجنود الفرنساوية في الجزائر رتب مجلساً من رؤساء الجنود لضبط خزائنها من الاموال والجواهر والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من من ضبطهم على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ثمانية واربعون مليوناً وستمائة الف وثمانون الفاً وخمسمائة وسبعة وعشرون فرنكاً ومن الصوف والحنطة والشعير وغيرها ما يبلغ قيمة ثلاثة ملايين من الفرنك ومن المدافع والبنادق والبارود والرصاص والقنابل وغيرها من آلات الحرب مع ثمن الاملاك الاميرية داخل البلد وخارجها ما قيمته خمسون مليوناً من الفرنك ثم حمل الباشا مع اهله واتباعه الى نابولي بطلب منه فاقام فيها مدة ثم انتقل منها الى الكورنه ثم الى الاسكندرية ولما وصلها احتفل به محمد علي باشا واطلعه على المهمات الحربية وغيرها وصنع له مأدبة حضرها الاعيان واكابر البلدة وفي اثناء الطعام اثنى حسين باشا على الخديوي ومدح اعماله وهمته في اعمار مصر وترقيها فاجابه الخديوي بقوله يا حضرة الباشا ان جميع ما رايته واستحسنته كان منشؤه من اكل الفول وكان ذلك منه تذكاراً له فيما سلف من الجواب عند قراءة الكتاب فتغص حسين باشا وتوجه لمحله متالماً وبعد ايام قليلة توفي سنة اربع وخمسين ومائتين والف هجرية ولما كثر الهرج بين الانكشارية والجيش الجزائري جمعهم القائد العمومي وحمل اكثرهم الى نواحي ازمير ورخص للاغنياء منهم في الاقامة بالجزائر ريثما يبيعون

عقاراتهم وامتعتهم وبعد فراغهم من اشغالهم حملهم الى جهات مختلفة ودوّن الدواوين وجند من اهل المدينة جنداً بلدياً وبنى قواعد حكومتهم في الجزائر على اظهار الهيبة ومراعاة امور الشريعة الاسلامية واحترام المساجد وتعظيم العلماء وحرية العوائد وتلطف ما شاء في امالة القلوب اليهم وبذل الاموال ترغيباً حتى يلين اليهم القوي ويدخل في طاعتهم الابيّ وظن ان سياسته هذه كافية في الاستيلاء على سائر المغرب الاوسط ولم يعلم ان دون ما اراد خرط القتاد وقد ظهر لهم بعد حين ان في عين اليقين حروباً يشيب لها الوليد ويضعف لديها القوي الشديد الى ان نالوا غاية مطلوبهم وحصلوا على نهاية مرغوبهم وذلك تقدير العزيز العليم

ذكر خروج المارشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً وما جرى بعد ذلك من الحوادث

بعد ان اتمّ القائد العمومي اشغاله الابتدائية في الجزائر خرج منها ثالث صفر سنة ست واربعين ومائتين والف الموافق للخامس والعشرين من يوليه في طائفة من الجند الى البليدة فتلقاه اهلها وادوا طاعتهم ودخل البلد وكان ابو مرزاك التركي حاكم تيطرى قد دعاه اليها ووعده بطاعة اهل تلك النواحي ولما شاع الخبر تداعى الناس الى الجهاد ونادوا به في جبال متيجة القريبة من البليدة فهرعوا اليها وعمدوا للمهاجمة وفي غلس اليوم الثالث من دخول القائد العمومي اقتحموا البلد واستاصلوا اكثر الجند الفرنساوي وفرّ القائد فيمن افلت من الجند الى الجزائر فدخلها على اسوأ حال وشاع خبر هذه الواقعة فاكبرها الناس واستخفوا امر الفرنسيس وفسدت قلوب اهل الجزائر عليهم وضعف ما كان عندهم من الهيبة لهم وانحط قدر القائد بينهم وقارن ذلك الاضطراب الواقع في الجزائر بين الجنود البرية والبحرية في دعوى التغلب على الجزائر فكل فريق ادعى ذلك واتصل بهم ان الامة في فرنسا ثاروا على الملك وخلعوه وابدلت الدولة الملكية بالدولة الجمهورية وكان القائد من حزب الملكية فايقن بالعزل وبعد ايام حضر الامر بعزله وتعيين الجنرال كلوزيل حاكماً على الجزائر وبحضوره باشر الاحكام وسافر المارشال بورمون الى مالقة من بلاد الاندلس مستصحباً قلب ولده المقتول في معركة سيدي خلف بالجزائر ثم ان الجنرال كلوزيل طمحت عينه الى الاستيلاء على امصار القطر فبعث الى حاكم وهران وحاكم قسنطينة يدعوهما لطاعة دولته فاجابه صاحب وهران الى

ذلك واخذ اهلها في الخروج منها الى تلمسان ومعسكر وغيرهما ولم يتخلف فيها الا الحاكم حسين باي وجنده وطير خبره بالاجابة على ان يؤمنه الجنرال كلوزيل على نفسه واهله ومن معه فاسعفه الجنرال بذلك وسير ولده الاكبر في عدة مراكب حربية اليه فدخل وهران واستلم زمامها من يد حسين باي في تاسع رجب سنة ست واربعين ومائتين الموافق خمسة وعشرين دسمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية وذلك بعد ستة اشهر من دخول الجزائر ثم لحق حسين باي ومن معه بالجزائر وعومل بما عومل به حسين باشا ولما بلغ احمد باي حاكم بسكره امر الجزائر جمع الجيوش وزحف الى قسنطينة حاضرة الولاية فخرج اليه حاكمها محمود باي ابن جاقر باي فدافعه عنها الى ان وقع الخلل في جيشه وتفرق عنه ودخل احمد باي الى الحاضرة وفر محمود الى جبال البربر فاغتاله بعضهم وساق رأسه الى احمد باي ثم وصله رسول الجنرال بكتابه يدعوه الى طاعة فرنسا فقتله ومزق الكتاب فاستشاط الجنرال غيظًا وارسل الكونت دي مريمون في الاسطول الى بونة وكان عاملها من قبل احمد باي قد نفرت من ظلمه قلوب اهلها فلما اطل عليهم اسطول فرنسا اظهروا له اشارة السلم وفر العامل ومن كان معه من الحامية ولحق الجميع بقسنطينة وتقدم دي مريمون الى البلد فاستولى عليها وقبل الاستيلاء على وهران وبونة انتقض ابو مزراك والي تيطرى ونكث طاعة فرنسا وجاهر بالحرب فخرج اليه كلوزيل من الجزائر في ثامن عشر نوفمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف واقام اياماً في البليدة ثم سار قاصداً المدية حاضرة ولاية تيطرى وزحف اليه ابو مزراك في جموع العرب والبربر فالتقى الجمعان بثنية موازيه واشتد القتال فانهزم ابو مزراك وجموعه واستمر كلوزيل سائرًا الى الحاضرة فدخلها في الثالث والعشرين منه وتلقاه اهلها مطيعين فولى عليهم مصطفى بن عمر وفي اثناء اقامته في المدية استأمنه ابو مزراك على نفسه فامنه ولما حضر عنده اعتقله وكر راجعاً به الى الجزائر ومر في طريقه بالبليدة فوجد القبائل المجاورة لها قد دخلوها واستأصلوا الحامية الفرنساوية ونهبوا الذخيرة فاستمر سائرًا على وجهه الى الجزائر موقنًا بانه لا طاقة له على اذعان القبائل والشعوب الجزائرية وان جيوشه غير كافية في حملهم على الطاعة مع ما عليه فرنسا من الارتباك واختلاف الكلمة بين الاحزاب الملكية والجمهورية فاستجلب دي مريمون وجنده من بونة لما علم انه لا يجلب الناس الى طاعة فرنسا الا امراء منهم او من الاتراك فولى مصطفى بن عمر

على مدينة المدية وبعث الى صاحب تونس حسين باشا من اولاد حسين بن علي يطلب منه بعض المترشحين الولاية من عائلتهم فبعث اليه من اختاره من اقاربه فولاه على مدينة وهران في اوائل فبراير سنة احدى وثلاثين بعد ان اشهد على نفسه انه فرنساوي وادّى يمين الامانة على ذلك ثم اخذ يدس الى الاتراك القاطنين في مدن الداخلية كتلمسان ومعسكر ان الفرنسيس اجمعوا على ان يجعلوا في الجزائر حكومة تركية تكون تحت حمايتها وبعد تأسيس امورها يتخلون عنها ويسلمون امورها اليهم وجعل توليته على وهران دليلاً على صدق خبره فركنوا الى قوله وبعثوا اليه بطاعتهم سرّاً ثم فشا خبرهم وانتشر ذكره فقامت عليهم الاهالي في كل جهة واستأصلوا الكثير منهم واعتصم اتراك تلمسان بقلعة المشور ثم عزل كلوزيل عن سخط من دولته ولحق بفرنسا وتولى الجنرال تريزين وتعين الجنرال بويه حاكماً على وهران وبوصوله اليها رجع التونسي الى اهله نعلم العرب ان اشاعة التونسي محض سياسة من الفرنساوبين لتفريق الاتحاد فكفوا عن الاتراك وسالموهم ورجع الامر الى ما كان عليه من الاتحاد وجمع الكلمة على الجهاد وكان ابن ابي مزراك بلغه ان كلوزيل اشخص والده الى الاسكندرية منفياً فثار في محله من تيطرى ودعا الناس الى الجهاد وجمع الجيوش ونازل المدية وضيق على اهلها فطار الخبر الى الجنرال برتزين فسير جيشاً لانقاذ عاملهم مصطفى بن عمر فتعرض لهم ابن ابي مزراك باقرب من البلد وناوشهم القتال ثم تمكنوا من دخولها وانقلبوا بعاملهم وحاميتهم راجعين الى الجزائر ولما احتلوا بمضايق جبال موزايه احاطت بهم جموع القبائل تحت راية ابن ابي مزراك والتحم الفريقان واستمر القتال في حال سيرهم واقامتهم الى قرب الجزائر ووقع الفشل في عساكر فرنسا فقتل اكثرهم وانتهبت اثقالهم ولم يصل الى الجزائر الا القليل منهم ثم ارتدّ ابن ابي مزراك بجموعه الى المدية فاستولى عليها واستمر فيها الى ان استولى عليها سيدي الوالد رحمه الله وكانت هذه الواقعة نزلاً للجنرال تريزين في داخلية الجزائر وفي تلك الايام ظهر الحاج علي بن السعدي في جبال زواوه ودعاهم الى الجهاد واجتمعت كلمتهم عليه وكان الجنرال برتزين بعد واقعة المدية جمع اعيان الجزائر وامرهم ان يختاروا منهم من يصلح للولاية على العرب والبربر في داخلية البلاد ويكون واسطة في ميلهم الى طاعة فرنسا فوقع اختيارهم على السيد محيي الدين بن السيد علي مبارك لشهرته في تلك النواحي فولاه الجنرال ولقبه آغة العرب على اصطلاح الحكومة الجزائرية

فخرج الى قريته القليعة على مسافة قريبة من الجزائر وبث رسله في القبائل يدعوهم الى الطاعة وبينما هو كذلك اذ عصفت ريح ابن السعدي وشاع الخداره من جبال زواوه الى سهل متيجه فاضطرب امر الآغا ولم يسعه الا اتباع السعدي فتوجه اليه بمن معه من القبائل واتخذها يداً عنده فاكرم نزله ثم زحف ابن السعدي بجموعه الى الجزائر وخيم بوادي الكرمه على مسافة ساعتين منها وعاث جيشه في اطرافها واضطرب الجنرال برتزين ثم خرج بجنوده اليهم فاوقع بهم اولاً ثم رجعت الكرة عليه فانهزمت جيوشه وارتدوا على ادبارهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان دخلوا الى المدينة وامتلأت ايدي الناس بالاسلاب والمهمات ورجعوا الى وادي الكرمة ثم زحفوا على المدينة ووصلوا الى باب عزون احد ابوابها نخام الجنرال عن اللقاء فانقلبوا راجعين الى اوطانهم تحت راية ابن السعدي ثم اخذ الجنرال تريزين بالطلف في استمالة القبائل بما امكنه واظهر الاغضاء عما وقع منهم فجنحوا للمهادنة معه وقدموا الآغا السيد محي الدين ابن السيد علي مبارك في عقدها فدخل الجزائر وعقدها مع الجنرال ثم رجع الى القليعة وانفتحت ابواب الجزائر للوارد والصادر من القبائل المجاورة لها ثم عزل الجنرال تريزين سنة سبع واربعين ومائتين والف هجرية واثنين وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية وتولى الجنرال الدوك دي روفيغو واحضر معه ستة عشر الف جندي لردع القبائل وحملهم على الطاعة ولما علم ان هذه السياسة لا تجديه نفعاً عدل عن التعسف الى التلطف واقام مدة على ذلك ثم ان فرحات شيخ بلد بسكره وما يليها من ايالة قسنطينية اظلم الجو بينه وبين صاحبها الحاج احمد باي فنزع الى الفرنسيس واوفد جماعة من اقاربه الى الجنرال الدوك دوفيغو فتلقاهم بالاكرام وتقبل طاعة شيخهم ثم انقلبوا الى شيخهم بانواع الهدايا الثمينة ولما وصلوا الى طرف سهل متيجة انقض عليهم جيش من قبائل الجبل فاستفتوا ما معهم وارتد الوفد راجعاً الى الجزائر فعظم ذلك عند الجنرال وبعد ان وقف على من فعل ذلك في ايام الهدنة حمله الغضب على الانتقام منهم فاغراهم قائد جيوشه فبجتهم وقتل من لحق به منهم واخذ شيخهم اسيراً الى الجزائر وبوصوله اشهروا قتله في السوق وشاع خبر هذه الواقعة فاستكبرها الناس وحسبوها نقضاً للهدنة من حاكم الجزائر فعادوا لما كانوا عليه من شن الغارات على ضواحي الجزائر والتعرض للوارد اليها والصادر وتحرك ابن السعدي بعد سكونه ونادى في تلك الجهات بالجهاد فقامت الحروب

بين جموع المسلمين وجيوش فرنسا ووقعت بينهم عدة وقائع كانت الحروب فيها سجالاً ولما استمر القتل في اهل متيجه دخل الكثير منهم في طاعة فرنسا وارتحلوا الى قرب الجزائر وترفع الباقون الى الجبال واخذ الناس حذرهم وعلموا ان الفرنسيس لا يكترثون بنقض العهود ولا يعبثون بالوفاء بها وهذه الحوادث كلها في ايالة الجزائر وايالة تيطري واما ايالة وهران فلم تنقطع الحروب فيها مع حاكمها منذ دخلها جيش فرنسا ثم ان آغة العرب لما رأى ان الامر تفاقم بين حاكم الجزائر والقبائل اهل داخليتها وعلم انه لا طاقة له بتلافي ذلك ارتحل من القليعة ولحق بجبال بني مناد ولم يزل مقيماً بين ظهرانيهم الى ان ظهر امر سيدي الوالد في ايالة وهران وتمشت له الطاعة الى ايالة تيطرى فبادر الى الدخول في طاعته واما السيد الحاج علي بن السعدي فانه لما احس من نفسه الكبر ولحقه الضعف والعجز ترك جبال زواوه ولحق سيدي الوالد في معسكر ولم يزل مشتغلاً بعبادة الله تعالى الى ان قضى نحبه وفي اثني عشر مايو سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عرض للجنرال الدوك دي روفينو مرض الجأه الى الرجوع الى فرنسا وخلفه الجنرال افيزار موقتاً وفي ايامه تشكل القلم العربي في دوائر اقلام الحكومة وتعين له الملازم لامورسير وكان يكتب الخط العربي ثم ترقى في المناصب الى ان صار جنرالاً واشتهر في وطن الجزائر بابي هراوة وفي اول ابريل عزل الجنرال افيزار وتولى الجنرال فرارول وتمكن من مهادنة القبائل في ايالة الجزائر واستولى الفرنسيس على بسائط متيجة وسهولها وتوسعوا في مسارحها وقد انتهى الكلام على الحوادث الاولية للفرنسيس في الجزائر

﴿ ذكر حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيس على مدينة الجزائر ﴾

اعلم ان الجزائر لما دخلت في حوزة الدولة العلية وانتظمت في سلك ممالكها ايام السلطان الغازي ياووز سليم خان على يد عروج باربروس الاول واخيه خير الدين باربروس الثاني اقامت الحكومة فيها لحماية البلاد وحفظ حقوق العباد وجرى حكمها حكم ممالك الدولة العلية لعهد السلطان احمد خان الثالث وفيه احست الحكومة بالقوة فاستبدت في احكامها وقد كان نفوذها مع استبدادها قاصراً لا يتعدى المدن والقرى واما الجبال وظواعن العرب في البادية فان لهم ادارة تخصهم موكول امرها الى زعائمهم ولما كانت الحكومة غير قادرة على تنظيمهم في سلك الطاعة

القت بينهم دسائس العداوة والبغضاء فتفرقت كلمتهم وضعفت شوكتهم و بهذا كان استحواذها عليهم وهذه السياسة من اكبر الوسائل التي تتوصل بهـا الامة القليلة الاجنبية الى الاستيلاء على الامة الكثيرة الوطنية كما قيل (فرق واحكم) ولما استولى الفرنسيس على مدينتي الجزائر ووهران وتمكن منهما تفرق الناس فرقاً وسلكوا من الخلاف طرقاً وفسدت السبل ولا غرو فان سكانها عرب و بربر مختلفو الطبع والمحتد ومن شان اهل البادية اثارة الفتن ليتهيأ لهم ما اعتادوا عليه من الغزو لتعيشهم فترى كل فريق يترصد فرصة الوثوب على مقابله لا سيما وقد كانت الحكومة الجزائرية احكمت عرى هذه الضغائن بينهم ولما آل الامر الى ما آل اليه ازداد هيجانهم وسرى داعي الانتقام في نفوس العامة وصار كل من له ثار يحاول الاخذ به فطوي لذلك بساط الامن ووقف دولاب التجارة وتعطلت الزراعة فانتهز العدو الفرصة واكثر من شدة الغارات على الضواحي ولما اشتد الامر وكثر القتل وعظم الكرب تداعى اهل العقد والحل من الاشراف والعلماء والاعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الامارة ليبايعوه فيجمع كلمتهم و يقوم بشؤونهم وحيث ان سيدي الجد كان ممن اجتمعت فيه الشروط على الوجه الاكمل وكان اعصف القوم ريحاً وابعدهم صيتاً وانفذهم كلمة اجتمع الناس اليه وراودوه على الامارة فاعتذر اليهم بكبر سنه فاوفدوا جماعة من اعيانهم الى صاحب المغرب الاقصى لاتصال بلادهم ببلاده فاكرم وفادتهم وعقد لابن عمه علي بن سليمان على امارة المغرب الاوسط و بعثه معهم فلقيه الناس بالطاعة واذعنوا له وسارت خيله في البلاد الى مليانه شرقاً و بث العمال وجبي الاموال فلم يحل هذا الصنيع في نظر دولة فرنسا لمنافاته لمقصودها ولم تتغافل عنه و بعثت الى سفيرها بطنجة ان يقدم على الفور من قبلها التنبيهات المشددة الى سلطان المغرب و ينذره بعداوة دولته و يتهدده بالحرب ان لم يرفع ابن عمه عن البلاد فاخذ الرعب منه كل مأخذ واسترجع ابن عمه بعد ان اقام بتلمسان نحو السنة اشهر وترك احوال المغرب الاوسط على ما كانت عليه من الاضطرابات وتسلط الغوغاء فاجتمع اعيانه ورفعوا شكايتهم الى سيدي الجد مرة ثانية والحوا عليه في قبول بيعتهم له على الامارة والجهاد فابى قبول الامارة وقبل القيام بامر الجهاد فرضي القوم بذلك لما فيه من تشاغل الغوغاء والسفلة عن الفساد واخذت الحشود من ذلك اليوم ترد على حضرته في القيطنة فكان ينهض بهم الى وهران وينازلها و يأخذ بخنقها وجرت بينه و بين حاكمها الجنرال بويه حروب ظهر فيها من

اقدام سيدي الوالد وشجاعته وحسن سياسته ما قيد الابصار عليه ورشحه للامارة وجعله حريًا بها واستمر سيدي الجد مواظبًا على الجهاد بعزم لا يرده راد ولا يصده عنه صاد وله فيه وقائع كثيرة اعظمها واقعتا خنق النطاح وواقعة برج راس العين

﴿ ذكر واقعة خنق النطاح الاولى ﴾

في اواخر ذي الحجة سنة سبع واربعين ومائتين والتاسع والعشرين من مايه سنة اثنتين وثلاثين جهز سيدي الجد سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن زيان الزياني وبعثه لاستكشاف احوال العدو بوهران فلما قرب منها تراءى له العدو معسكرًا في ساحتها بالموضع المعروف بخنق النطاح فاقام يراقب حركاته وطير الخبر الى سيدي الجد فنهض من القيطنة وخيم بوادي سيك وارسل في الجهات ينادي بالجهاد وبعد ان تلاحق الناس به سار بهم الى ساحة وهران وخيم بالقرب من العدو وبات المسلمون يوقدون النار على التلال المطلة على البلد وفي صبيحتها زحف كل من الفريقين الى الآخر ودارت بينهما رحى الحرب واشتد البأس وكثرت القتلى من الفريقين وكان سيدي الوالد بين الصفوف يحرض المسلمين على الثبات ويأمرهم بالتقدم فتحامل عليه احد فرسان العدو برمحه فمرت في خلو الابط الايسر فشد عليها بعضده وهوى بسيفه على الفارس فقده نصفين ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيس فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون الى الابواب وامتلأت الايدي من اسلابهم وذخائرهم وفي هذا اليوم طعن فرس سيدي الوالد وكان اشقر اللون ثمان طعنات بحربات العدو ثم رماه احدهم بالرصاص في راسه فوقع به ولم يبال بذلك بل استقل واقفًا وثبت في مركزه الى ان قدم اليه اتباعه غيره فركبه واستمر على القتال الى ان انتصر المسلمون على عدوهم وقد اشار لذلك سيدي الوالد في مقصورته بقوله

واشقر تحتي كلمته رماحهم * مرارًا ولم يشك الجوى بل وما التوى

﴿ ونص المقصورة ﴾

توسد بمهد الامن قد مرت النوى * وزال لغوب السير من مشهد الثوى
وعرّ جيادًا جاد بالنفس كرهًا * وقد اشرفت مما دعاها الى النوى
وكم قد جرت طلقًا بنافي غياهب * وخاضت بحار الآل من شدة الجوى

وكم من مفازات يضل بها القطا * قطعت بها والذئب من هولها عوى
لذا قد غدت مثل القسي ضوامراً * وتلك سهام للعدى وقعها شوى
الى ان بدت نيران اعلامنا لها * وما ضوء نيران الكرام له انزوا
ولا سيما اهل السيادة مثلنا * بنو الشرف المحض المصون عن الهوى
فقالت ايا ابن الراشدي لك الهنا * كفى فاترك التسيار واحمدوجي النوى
الا يا ابن خلاد تطاولت للعلى * وباينت ماواك الكريم وما حوى
فمن اجل ذا قد شد في ربعنا لها * عقالاً ونادينا لك العز قد ثوى
وحل بكهف لا يرام جنابه * فمن حل فيه مثل من حل في طوى
فانا اكاليل الهداية والعلى * ومن نشر عليام ذوي المجد قد طوى
ونحن لنا دين ودنيا تجمعا * ولا فخر الا مالنا يرفع اللوا
مناقب مختارية قادرية * تسامت وعباسية مجدها احتوى
فان شئت علماً تلقني خير عالم * وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
لنا سفن بحر الحديث به جرت * وخاضت فطاب الورد ممن به ارتوى
وان رمت فقه الاصبحي فهج على * مجالسنا تشهد لداء العنا دوا
وان شئت نحواً فالنحا تلق ماله * غدا يذعن البصري زهداً بما روى
وانا سقينا البيض في كل معرك * دماء العدى والسمر اسعرت الجوى
الم ترَ في خنق النطاح نطاحنا * غداة التقينا كم شجاع لها لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتها * بحد حسامي والقنا طعنه شوى
واشقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
بيوم قضا نحباً اخي فارتقى الى * جنان له فيها نبي الورى اوى
فما ارتد من وقع السهام عنانه * الى ان اتاه الفوز يرغم من عوى
ومن بينهم حملته حين قد قضى * وكم رمية كالنجم من افقه هوى
ويوم قضى تحتي جواد برمية * وبي احدقوا لولا اولو البأس والقوى
واسيافنا قد جردت من جفونها * وردت اليها بعد ورد لقد روى
ولما بدا قرني يعناه حربة * وكفي بها نار بها الكبش يشتوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا * يولي فوافاه حسامي مذ هوى
شددت عليهم شدة هاشمية * وقد وردوا ورد المنايا على الغوى
نزلت ببرج العين نزلة ضيغم * فزادوا بها حزناً وعمهم الجوى

وما زلت ارميهم بكل مهند * وكل جواد همه الكرّ لا الثوى
وذا دابنا فيه الحياة لديننا * وروح جهاد بعدما غصنه ذوى
جزى الله عنا كل شهم غدت به * غريس لها فضل اتانا وما انزوى
فكم اضرموا نار الوغى بالقبي معي * وصالوا وجالوا والقلوب لها اشتوا
وانا بنو الحرب العوان بها لنا * سرور اذا قامت وشانئنا عوى
لذاك عروس الملك كانت خطيبتي * كفجأة موسى بالنبوة سيف طوى
وقد علمتني خير كفوء لوصلها * وكم رد عنها خاطب بالهوى هوى
فواصلتها بكرًا لدي تبرجت * ولي اذعنت والمعتدي بالنوى ثوى
وقد سرت فيهم سيرة عمرية * واسقيت ظاميها الهداية فارتوى
واني لارجو ان اكون انا الذي * ينير الدياجي بالسنا بعد ما لوى
بجاه ختام المرسلين محمد * اجل نبي كل مكرمة حوى
عليه صلاة الله ثم سلامه * وآل وصحب ما سرى الركب للوى
وما قال بعد السير والجد منشد * توسد تهد الامن قد مرت النوى

وفي اليوم الثاني قفل سيدي الجد بجيوشه الى وادي سيك واقام اياما ثم ارتحل الى القيطنة واذن للناس في الرجوع الى اوطانهم ليستعدوا لمنابها

❊ ذكر واقعة خنق النطاح الثانية ❊

وبعد ان استراح الناس من الواقعة الاولى اصدر الامر بالنفير الى وهران وعقد سيدي الجد اللواء لسيدي الوالد وتخلف هو لانحراف صحته فنهض الوالد الى وادي سيك وتلاحقت الجموع به ثم ارتحل الى عين الكرمة على مسافة قريبة من وهران وكان الجنرال بويه جاءه المدد من فرنسا وبلغه خبر الوالد فضرب معسكره في خنق النطاح وقسم جنده ثلاث فرق فرقتين للكفاح وفرقة للمحاماة واما الوالد فانه ارتحل من عين الكرمة وعسكر بازاء العدو وقسم جنوده خمس فرق فرقتين للقتال وفرقتين للدفاع وفرقة جعلها كمينًا وراء العدو ثم زحف اليه فالتقى الفريقان واظلم الجو بدخان البارود وعثير النقع فلم تطل المدة حتى كانت الدبرة على العدو فانكسرت ميمنته ووقعت الهزيمة في القلب فولوا مدبرين يطلبون ابواب البلد فلقيهم الكمين واستلحم اكثرهم ودخل الجنرال بويه الى البلد مغلولاً في شرذمة قليلة من جنده وفي هذا اليوم استشهد السيد احمد ابن عمنا السيد محمد سعيد وهو ابن خمس عشرة سنة بعد

ان ظهر من اقدامه وتحامله على صفوف العدو ما اوقف العقول وادهشها وعندما وقع عن فرسه ميتًا بين الصفوف هجم الوالد في طائفة من وجوه الابطال جعلهم ردءًا له فخرق صفوف العدو واحتمل ابن اخيه من بينهم فعجب الاعداء لهذه الحملة واعتقدوا ان القتيل امير فجدعوا حولهم وقوتهم على ان يمنعوا عنه الهاجمين ففشلوا وكان هذا الولد الشهيد من اعز اقارب الوالد اليه لحسن هديه ونجابته واستشهد في هذه الصدمة من الاعيان نحو المائة ومن الغد قفل الوالد بجيوشه المظفرة الى حضرة سيدي الجد فاعطاهم الدستور الى اوطانهم

﴿ ذكر واقعة برج راس العين ﴾

ولما انهزم الجنرال بويه واستلحم اكثر جنده بعث صريخه الى حاكم الجزائر فامده بالجند والذخيرة ثم ضرب معسكره فيما بين البلد وبرج راس العين في الجهة الغربية من وهران وبلغ الخبر الى سيدي الجد فاخذ يتأهب للحرب وبعث اوامره الى النواحي من عرب وبربر يدعوهم الى الجهاد ويخبرهم ان العدو عسكر خارج وهران في غاية مما امكنه من الاستعداد فجاء الناس الى حضرته ارسالاً وانتهى اليه ان العدو عامل على مباغتته فبعث العيون يراقبون حركاته ثم خرج من حضرته القيطنة الى وادي سيك حسب عادته وارتحل منه وعقد اللواء لسيدي الوالد فواصل سيره الى ان اطل على وهران بجنوده وباتوا ليلتهم تلك يوقدون النيران في جميع انحاء البلد معلنين بالتهليل والتكبير فسقط في يد الجنرال بويه وفاته ما كان اضمره من اخذ المسلمين بغتة ومن الغد عبى الوالد كتائبه وجعل كل قبيلة على حدتها وعين عليها قائدًا منها وامر الجيوش بالزحف الى العدو فتقدموا حتى انتهوا الى البرج فانزل المشاة الى الخندق المحيط به الممتد الى البلد ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة من مهاجمة العدو وباقي الجموع حملت على معسكر الجنرال وانتشبت الحرب واضطرمت نارها واخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالمطر فلا يزيدهم ذلك الا شدة وتقدمًا واشتد القتال وجعل الوالد يتردد بين المشاة والفرسان وسائر صفوف المسلمين يحرضهم على الثبات والصبر في مجال الموت ويذكرهم بايام الله وبينما هو كذلك اذ عدا عليه احد فرسان العدو بسيفه فحاد عن سرجه فوقعت الضربة على الفرس فوقع ميتًا لحينه فركب غيره واستمر على ما كان عليه من التحريض وبلغه ان المشاة فرغت ايديهم من الفشك فاسرع اليهم بما يكفيهم منه يومهم ذلك ولم يبال في ذهابه وايابه بقنابل

العدو المتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد وظهر من شجاعته في ذلك اليوم ما اشتهر في اقطار المغرب واتصل القتال بين الفريقين الى الليل فبات المسلمون في مراكزهم وانسل العدو ليلاً فدخل البلد وانحجر فيها واقام سيدي الوالد محاصرا له شهرا كاملاً ثم اقلع عنه لامور عرضت له

﴿ذكر البيعة الاولى لسيدي الوالد﴾

لما طال على اهل الوطن الامد وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب والنكد وتسلط على بلادهم العدو ومنعهم القرار والهدو فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد وآونة كان يقع بينهم الفساد والحرب والجلاد وسطا القوي على الضعيف وتطاول اللئيم على الشريف اجتمع الاشراف والعلماء واعيان القبائل من العرب والبربر وقدموا على حضرة سيدي الجد والزموه ان يقبل بيعتهم على الامارة لنفسه اولولده سيدي الوالد وحاجوه في ذلك بما عجزه عن الاعتذار فامعن النظر في هذا الامر فرأى ان الاهتمام به واجب وتعين عليه شرعاً ان يقوم به لانه مسموع الكلمة نافذ الامر غير انه لما كان عاجزا عن القيام باعبائه ورأى ان ولده المنوه به قد بلغ اشده وارهف حده وترشح للامارة وتاهل لها واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة والفتوة والعلم والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ والتيقظ والاتقاء والارتقاء الى غير ذلك من افراد الفواضل والفضائل ومكارم الاخلاق ومحاسنها

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت ☆ تلك الفضائل في لحم ولا عصب

وعلم انه لامندوحة له عن الاجابة والقبول اما له اولولده فحينئذ استخار الله تعالى وقدم ولده للامارة ومدافعة اهل الشرك متوكلاً في نصره وتاييده على مالك الملك فذهبت البشائر بذلك في اقطار الوطن وعمت الخاص واحياءه وقبل سيدي الوالد ما انشرح اليه صدر والده من امارته قائلاً انالها انالها فكان قبوله لها دليلاً على اقبالها وتاقيها بحول الله وقوته اصل استقبالها قد ادخرها الله له في الازل ورباه لها ثم ابرزه للقيام بها عند حلول الاجل وتباشر الناس لذلك لما راوا من اقدامه للزحف واقتحامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العلية والنعوت السنية فاجتمع اشرافهم وعلماؤهم واعيانهم وتداعى صغيرهم وكبيرهم وحلوا بوادي فروحة من غريس عند شجرة الدردارة وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون اليها للشورى بينهم

وجاء سيدي الجد في بنيه واقاربه وذويه ولما تلاحق الناس الذين يعتد بحضورهم للبيعة وجلس سيدي الوالد تحت الشجرة قام والده فبايعه على السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه ناصر الدين وقام عمه سيدي الجد لأمي السيد علي ابي طالب وبايعه وكذا الاخوة وسائر القرابة ثم الاشراف والعلماء والاعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده ولا يخفى ما في وقوع هذه البيعة تحت الشجرة من الاتفاق الغريب وما فيه من الاشارة الى متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء اثره في بيعة الرضوان التي نوه الله تعالى بذكرها وعظم قدرها في القرآن بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال المفسرون هي شجرة ام غيلان وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية نازلاً تحتها يستظل بها فبايعه المؤمنون على الموت كما قاله سلمة بن الاكوع واول من بايعه على ذلك ابو سنان الاسدي رضي الله عنه وبايع الناس على بيعة ابي سنان روى ذلك الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهذه البيعة كانت سنة ست من الهجرة وبعد ان انتهت البيعة لسيدي الوالد ركب سيدي الجد الى مدينة معسكر حاضرة الامارة ولما ان دخلها وجد السرور والبشر قد عم عامة اهلها وقد طلع على اهل الصلاح فجرًا صادقًا وعلى اهل البغي والفساد نجمًا طارقًا فتهلل وجه الصالحين وايقنوا بصلاح الحال وتكدر عيش المفسدين وايقنوا بالوبال في الحال وفي المآل ثم اقبل الامير بعده في جموعه وكانت زهاء عشرة آلاف فارس فبرز اهل البلد احتفالاً به واستقبلوه في الموضع المعروف بخديبيه على مسافة نصف ساعة منها مظاهرين للطاعة وشعائرها فاقبل عليهم ببشره وابتسامه قبل كلامه وبعد ان تناول من طعامهم الذي كانوا اعدّوه لحضرته دعا لهم وحثهم على الطاعة والتزام الجماعة ثم ركب ليدخل البلد فاطلقت المدافع وغردت الموسيقات بما يطرب المسامع ونشرت الرايات والاعلام وبرزت المخدرات من القصور تثني على الايام فدخلها على احسن حال واتم منوال ونزل في دار الحكومة فجلس على كرسيه ودخل عليه اهل البلد ومن لم يشهد بيعة غريس افواجًا افواجًا لاداء البيعة ثم قام فدخل داره وخير والدتي فقال ان اردت ان تبقي معي من غير التفات الى طلب حق فلك ذلك وان ابيت الا ان تطلبي حقك فامرك بيدك لاني قد تحملت ما يشغلني عنك ثم خرج الى المسجد الجامع فصلى الظهر بالناس ثم خطب عليهم خطبة مبتكرة طويلة تحتوي على وعظ ووعد ووعيد وامر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه انفرد افاضل العلماء

تحرير صك البيعة فكتبه في مجلسهم العالم الجليل السيد محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الامير ونصه بحروفه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لانبي بعده الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لتصان به النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله واصحابه اجمعين وبعد فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي بالسلطان ما لا يحمي بالقرآن هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل ونضب فيه الجهل فما بالك بزماننا الذي كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له اثر حتى ان اعداء الله الكافرين ملكوا كثيرًا من بلاد الاسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقتالهم سبيلاً ولا من يكون للجهاد دليلاً فلجئوا الى الله تعالى وسالوه ان ييسر لهم من يقوم بامر دينهم فما وجدوا من تتفق عليه كلمة اهل الحل والعقد سوى السيد محيي الدين ابن مصطفى بن المختار لكماله وكثرة ما عنده من الاعوان والانصار فطلبوا منه ان يبايعوه على السمع والطاعة فاعتذر اليهم بكبر سنه وبعد زمان طويل تكرر فيه طلبهم مرات ووقع الحاحهم تارات وراى ان النظر في هذا الامر قد تعين عليه واتاه بعض علماء غريس وهو من الصالحين فقال له ان اولياء الله تعالى قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله وراى ان ولده مستعد لهذا الامر فحينئذ وافقهم على نصبه ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحاً لتنفيذ الاحكام فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب منه للامارة ولامتابعة للنفس الامارة بل بايعوه رغماً عليه وطلبوا والده بالله تعالى وتوسلوا اليه برسول الله صلى الله عليه وسلم مدة تريد على سنتين فوافقهم على بيعة ولده تطييبًا لخواطرهم ورعاية لرفع الظلم عن الضعيف ودفعًا للفساد والتعنيف فحضر للبيعة جميع اهل غريس الحشم شرقي وغربي وعباسي وخالدي وابراهيمي وحساني وعوفي وجعفري وبرجي وشقراني وغيرهم كبني السيد دحو وبني السيد احمد بن علي والزلامطه ومغراوه وخلويه والمشارف وكافة اهل وادي الحمام واعلنوا جميعًا بطاعته ونصرته والرعاية له بحيث انهم يحمونه بما يحمون به انفسهم واموالهم وان ينصروه نصرًا مؤزرًا واتفق علماء الاقليم على بيعته وطاعته ولم يخالف منهم احد وهم في حال طوعهم واختيارهم وفرحوا به اشد الفرح نظرًا لما كانوا عليه من الضيق والترح وكل من سمع به من اهل الآفاق يزداد فيه رغبة وذلك لعلمهم بقوة عقله وشدة نجدته وصلاح رايه فعلى من بايع ان يبذل جهده في نصرته وعضده لقول الصادق الامين الدين النصيحة لله ولرسوله

ولائمة المسلمين ومن نكث فانما ينكث على نفسه حضر ما ذكر من العلماء والاشراف السيد الاعرج والسيد محمد بن حوا بن يخلف واخوته والسيد محمد بن الثعالبي والسيد عبد الرحمن بن حسن الدحاوي واخوته والسيد محمد بن عبدالله ابن الشيخ المشرفي وقرابته وكافة اولاد السيد احمد بن علي حاصله جميع علماء غريس واشرافه حضروا لهذه البيعة الميمونة ورضوا بها وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر عامله الله بلطفه في الباطن والظاهر في الثالث من رجب الفرد سنة ثمان واربعين ومائتين والف هجرية الموافق للسابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية ثم كتب جماعة من اعيان العلماء المشاهير على هذا الصك ما يؤذن بحضورهم للبيعة وشهادتهم بها على انفسهم وعلى سائر من حضرها فكتب العلامة سيدي الجد للام عم الامير شقيق والده السيد علي ابي طالب بن مصطفى بن المختار ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بعد انعقاد البيعة الامام المعظم والامير الجليل المفخم ابن اخينا السيد عبد القادر بن محيي الدين احيا الله بهما الدين واعانهما على القيام بامور اهله ودمر بهما الكفرة اولي العناد واهلك بسطوتهما اهل البغي والفساد بايعناه على السمع والطاعة وامتثال الامر ولو في ولد الواحد منا او نفسه وقدمنا نفسه على انفسنا وحقه على حقوقنا واني اوصيه بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف عند الحدود الشرعية ورد مسائل الشرع اليه وبتشديده عن ساعد الجد في قطع شافة شياطين الانس اهل الاذاية كالمحاربين وقطاع السبل واهل الغيلة والسرقة وغيرهم من هذا القبيل ليتم بذلك امره ويتضح به تاييده ونصره وتشرق شمس الحق على القلوب وتطمئن بخدمته وطاعته الافكار ويسارع المؤمنون الى الانقياد والاذعان لتكاليفه واوامره اللهم ايده وانصره نصرا تعزبه الدين والق التقوى في قلبه وقوة اليقين بجاه سيد الاولين والآخرين واحي به ما دثر من احكام الخلفاء الراشدين يامالك الدين والدنيا والآخرة وادم سرورنا وسرور جميع اهل شعبته ومحبتنا واتم لنا المقصود بما ينقطع به قلب الجحود آمين كتبه علي بن المصطفى وكتب العلامة السيد ابن عبدالله بن الشيخ المشرفي ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعد انعقاد البيعة للعالم النبيه الصدر الوجيه الناظم الناثر ابي محمد السيد عبدالقادر ابن عمدة الملة والدين شيخنا السيد محيي الدين ابن شمس الكمال شيخ مشائخنا واسلافنا ابي عبدالله السيد مصطفى بن المختار من اهل الحل والعقد والامضاء والرد ممن ذكر اعلاه واطلاعنا على ما اتفق عليه السواد الاعظم وبه فاه لم يسعنا الا الموافقة

عليه والجنوح لما استندوا اليه فالله يلهمه رشده ولايعدمه رفده وان ينصر به الدين الحنيفي ويظهر به من اموره كل خفي وان يصلح به وعلى يديه وان يجنبه راي المفسد والسفيه واوصيه بتقوى الله في علانيته وسره ونجواه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قاله بفمه ورقمه بقلمه كاتبه عن عجل والقلب في وجل ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسني عفا الله عنه وكتب العلامة السيد احمد بن التهامي ما نصه الحمد لله لما فتح الله للمسلمين ابوابه ويسر للخير اسبابه باجابة الولي الصالح والقطب السالك الناجح شيخ اهل الفضل والدين مولانا السيد محي الدين لما طلبه منه المسلمون من تقديم ابنه الناسك الانجد العلامة الاسعد على الايالة الغربية وما انضاف اليها من الايالات فاجتمع من له اتصاف بالحل والعقد على نصرة السيد المذكور ومبايعته مذعنين متلقين تلك البيعة بالفرح والسرور فعقد له البيعة جميع من له دخول في تدبير الامور من عالم ومقري وشريف ورئيس من اي ناحية من اهل الراشدية وغيرها فبذلك ثبتت له البيعة الملكية على الخاص والعام يامر وينهي فلا يسقط من امره ونهيه ادنى شيء فعليه بتقوى الله فيما تولاه وهو ناصره ومعينه على ما اولاه وكان من جملة مبايعيه الفقير كاتبه احمد بن التهامي الحسني وكتب العلامة الاوحد السيد محمد بن حوا الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ولما فسد الزمان وضاقت بالمساكين الاركان من كثرة النهب وقلة الامان ولم يجدوا من يصلح بامور المسلمين من الاعيان سوى من ذكر فاتفقت كلمة المعتبرين من اهل الوطن على البيعة للسيد المذكور بالاعلا وانا عبدالله من جملة من اتفق معهم على ذلك فنسال الله الغني الكريم الوهاب ان يسدده في جميع افعاله وان يهد له البلاد ويصلح به الفساد ويهدي لطاعته العباد كتبه محمد ابن حوا وكتب العلامة السيد بالمختار بن عبد الرحمن بن روكش ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى ما تضمنته رسوم العلماء في بيعة الامام المذكور وافق الموافقة التامة كاتبه بالمختار ابن عبد الرحمن بن روكش وبعد ان تم امر البيعة امر الامير مجلس العلماء ان يكاتبوا رؤساء القبائل في اطراف البلاد بامر البيعة وما وقع عليه الاتفاق وان يلحوا عليهم في الحضور لاداء بيعتهم كما اداها غيرهم فكتبوا ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اما بعد فاعلموا معاشر العرب والبربر ان الامارة الاسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل امرها الآن الى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محي الدين وجرت مبايعته

على ذلك من العلماء والاشراف والاعيان في معسكر وصار اميرًا لنا ومتكفلاً باقامة الحدود الشرعية وهو لا يقتفي آثار غيره ولا يحذو حذوهم ولا يخصص لذاته مصاريف زائدة على الحاجة كما كان الغير يفعله ولا يكلف الرعية شيئًا لم تامر به الشريعة المطهرة ولا يصرف شيئًا الا بوجه الحق وقد نشر راية الجهاد وشمر عن ساعد الجد لنفع العباد وعمران البلاد فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة واداء البيعة لامام منكم فاعلموا ذلك وبادروا لامتثاله ولا تشقوا العصا ويذهب بكم الخلاف الى ما لا خير لكم فيه دنيا واخرى حرر في معسكر من مجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف * وعلى نحو هذا صدرت اوامر الامير الى سائر القبائل العربية والبربرية ونصها الحمد لله الى قبيلة كذا خصوصًا اشرافها وعلمائها واعيانها وفقكم الله وسدد اموركم وبعد فان اهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد اجمعوا على مبايعتي وبايعوني على ان اكون اميرًا عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في اليسر والعسر وعلى بذل انفسهم واولادهم واموالهم في اعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما انني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي اليه مؤملاً ان يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم وتامين السبل ومنع الاعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو واجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف فلذلك ندعوكم اتحدوا وتتقوا جميعًا واعلموا ان غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الاحمدية وعلى الله الاتكال في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتؤدوا بيعتكم وفقكم الله وارشدكم حرر عن امر ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية

﴿ ذكر البيعة الثانية العامة ﴾

لما شاع امر البيعة الاولى وذاع اقبلت الوفود تترى من القاصية الى الحضرة العلية رغبة في الطاعة وامتثالاً للاوامر السامية المطاعة فاجتمع الطم والرم من جميع الآفاق ثم انعقد مجلس عام حضره الجمهور من الاشراف والعلماء والرؤساء من كل قبيل وفريق وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمحل العموم من قصر الامارة وهذا نص ما حرره العلامة الحجة الفهامة السيد محمود بن حوا المجاهري في ذلك اليوم وقرأه على رؤس

الاشهاد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الطيب الكريم وعلى آله واصحابه ذوي الفضل العظيم حمدًا لمن افضل امة محمد عليه السلام وخصها بمزايا لم يعطها احدًا من الانام وجعلها خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكرات والارجاس هداهم به الى منهج الرشاد وطهرهم من عبادة الاوثان والانداد والاضداد وجعلهم الشهداء على من سواهم من الانام فشرف بذلك امرهم ورفع قدرهم وجعل اجماعهم حجة وسبيلهم اقوم محجة واوجب عليهم نصب امام عدل وفرض عليهم اتباعه في القول والعمل ليكف الظالم وينصر المظلوم ويجمع شملهم بالخصوص والعموم ويكافح بهم عدو الدين لتكون العليا كلمة المسلمين وصلاة وسلامًا على من صدع بالحق ودعا الخلق الى القول بالصدق وجاهد في الله حق جهاده حتى استقام المعوج وآب عن فساده سيدنا ومولانا محمد اشرف رسول واكرم شافع مقبول صاحب المقام المحمود والحوض المورود وعلى آله واصحابه اهل وداده وسيوف جلاده الذين بذلوا انفسهم واموالهم في طاعته ونصرته واوضحوا شريعته وبينوا طريقته ففازوا بذلك اسنى المراتب ونالوا الدرجات العلى والمناصب فهم نجوم الاهتدا ومصابيح الاقتدا هذا ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الاوسط واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران اعادهما الله دار ايمان واسلام بجاه النبي عليه السلام وطمحت نفسه العاتية الى الاستيلاء على السهول والجبال والفدافد والتلال وصار الناس في هرج ومرج وحيص وبيص لا ناهي عن منكر ولا من يعظ ويزجر قام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب امام يبايعونه على الكتاب والسنة يسمعون لامره ونهيه ويتابعونه في جميع احواله وجالوا في ميدان افكارهم فيمن هو لذلك اهل من ذوي الكمال والفضل فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل الا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر راس الملة والدين قامع اعداء الله الكافرين ابا المكارم السيد عبد القادر ابن مولانا السيد محيي الدين ايد الله به الاسلام والمسلمين واحيى به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ثم قدمت على حضرته الوفود من سائر الجهات والحدود فبايعه اولهم وآخرهم شريفهم ومشروفهم كبيرهم وصغيرهم بيعة تامة كاملة عامة بيعة سمع وطاعة افرادًا وجمعة بيعة عز وتعظيم وتبجيل وتكريم بيعة يعز الله بها الاسلام ويخذل بها الفجار اللئام يذبون عنه السوء بما يذبون به انفسهم واولادهم واموالهم ويبذلون في مرضاته ارواحهم واكبادهم ان امرهم سمعوا وان نهاهم خشعوا وخضعوا يطيعونه ما ساسهم بالشريعة الغراء وينصرونه في

السراء والضراء فمن وفى بيعته نال مسرته وأتقى مضرته ولاقى مبرته ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وامسه والله المسئول في هداية الخلق الى طريق الحق والرأفة والرفق ولما ازدهت هذه البيعة بكمالها وطرزت بجلالها وجمالها كمل سرورها وتمت بدورها بوزارة ابي المحاسن السيد محمد بن السيد العربي اقام الله به امر هذه الدولة السنية والامامة البهية وممن حضر هذه البيعة وبايع وسمع لها وتابع من القبائل الشرقية والاحياء الغربية الوزير المذكور وبنو عمه وسائر العلماء والاعيان من معسكر وقلعة هوارة واحوازها كبني شقران وبني غدوا وسجراره وقبائل غريس واحيائه وغمازه وعشائره واعيان القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبني القصير ومرابطي تجاجه وصبيح وبني خويدم وبني العباس وعكرمة والمحال وفليته والمكاحلية واحلافهم واعيان مجاهر والبرجيه والدوائر والزمالة والغرابه وكافة قبائل اليعقوبية من الجعافرة والحساسنه وبني خالد وبني ابراهيم ثم القبائل القبلية كاولاد شريف واولاد الاكرد وصدامة وخلافة وغيرهم ممن يطول ذكرهم من قبائل المغرب الاوسط وعمائره سهله ووعره ثم الكل بايعوا عن انفسهم وعن قبائلهم بالاذن العام من الخواص والعوام وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشر رمضان سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كتبها خادم الشريعة السمحاء محمد الشهير بابن حوا ثم بعد الفراغ من كتابة صك هذه البيعة وقراءته على العموم جلس الامير الوفود واقبل عليهم ونظر بعين الرضى والقبول اليهم وقبل منهم ما قدموه لاعتابه السامية من عتاق الخيل والسروج المثقلة والاسلحة الفاخرة وغيرها من انواع الهدايا النفيسة جريًا على عوائدهم مع الملوك قبله وخطب عليهم بما انشرحت له صدورهم وتضاعف به سرورهم ثم خلع عليهم وفرق فيهم الاموال وبالغ في اكرام كبرائهم واستمال قلوب لؤمائهم واظهر لهم من انواع اللطف ولين الجانب ما اخذ باسماعهم وابصارهم ثم صرفهم الى اوطانهم فرحين بما آتاهم الله من فضله

ذكر تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر اتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة فاستوزر محمد ابن العربي واستكتب ابن عمه السيد احمد بن علي ابي طالب والسيد الحاج مصطفى بن التهامي والسيد الحاج محمد الخروبي وعين لحجابته محمد بن علي الرحاوي وولى الحاج الجيلاني ابن فريحة ناظر خزينة المملكة ومحمد ابن فاطمة

ناظر الخزينة الخاصة والحاج الطاهر ابو زيد ناظرًا على الاوقاف والسيد الحاج الجيلاني العلوي مأمورًا على الاعشار والزكاة بانواعها وعين لنظارة الامور الخارجية الحاج الميلود بن عراش ونظم الحاشية واقام كل فرد منها في مقام يخصه ورسم له اثرًا يقصه وبث العمال والقضاة في سائر الجهات ورتب مجلسًا للشورى يشتمل على احد عشر عضوًا من اجلة العلماء وجعل رآسته للعلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المراحي ودوّن الدواوين وطفق يرد على الناس ما اختلسه بعضهم من بعض وينصفهم مما وقع بينهم من انواع المظالم والتعديات ايام الفتنة ويهدم ما كانت الحكومة الجزائرية اسسته من المغارم والضرائب والعوائد فطار بذلك ذكره وانتشر في المغرب الاوسط امره واختار الامير مدينة معسكر لاقامته تأنيسًا لاهل غريس وتطييبًا لنفوسهم لانهم كانوا دعاة هذه الامارة وكانت منها حركته ونهضته وفيها اولاً قراره وباجدادها كمل امره واينع اسه وعراره

﴿ ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك ﴾
﴿ من الحوادث ﴾

بعد ان فرغ الامير من شؤنه ورسوم ملكه نهض من حضرته معسكر سيف شوال سنة مائتين وثمانية واربعين وفي فبراير سنة الف وثمانمائة واثنين وثلاثين ليختبر الاحوال وينتقد الاعمال ويجمع شمل الاقوال بالافعال ويقيم من تخلف عن البيعة على الطاعة ويحمله على سلوك سبيل الجماعة والوطن اذ ذاك قريب العهد باختلال الحال فشمر الامير عن ساعد جده واشهر سيف الحق وانتضاه من غمده ودوّخ بلاد البربر وزناته وجال في مواطنهم وضبط الامور وجبى الاموال وعفا وعاقب وشافه وكاتب ثم انفتل راجعًا على الساحل يتوخى الثغور فانتهى الى مرفأ ارزيو وكان قاضيها احمد بن طاهر يراجع حاكم وهران ويدعوه الى الاستيلاء على المرسى المذكورة فقبض عليه الامير واشخصه الى معسكر فاعتقله بها واقبل على شانه من ضبط الثغور وتثقيفها فرتب الحامية وقرّر ذخائرها ثم ارتحل الى الحضرة

﴿ ذكر غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث ﴾

ان قبيلة فليته تشتمل على بطون وعشائر عديدة من دابهم سلب النفوس والاموال وقطع السابلة من عهد الحكومة الجزائرية وبعد انقراضها اشتد عدوانهم

واتصل عيثهم ولما آل الامر الى الامير رفع الناس امرهم الى اعتابه وطلبوا منه
ان يقطع شافة فسادهم فاجابهم الى ذلك ونهض من الحضرة غب رجوعه من
ارزيو ونزل بالبطحاء المعروفة الآن بهبرة ومنها اغزا السير اليهم بجدوءه فصبحهم
واكتسح اموالهم وشتت شملهم وجعلهم عبرة لغيرهم وبعد الفراغ من امرهم بلغه
انتقاض قبائل عكرمة وبني مديان فسار اليهم وراسلهم في الرجوع الى الطاعة
فلم يمتثلوا واظهروا الشقاق فاغار عليهم واستولى على جميع موجوداتهم واعظم النكاية
فيهم ثم استأمنوا له فامنهم ورد عليهم اموالهم وولى عليهم عمالاً وثق بهم وقفل
راجعًا وغب دخوله الى الحضرة بلغه ان حاكم وهران اغار على قرية الدبه وهي
في جنوب قلعة هواره واوقع باهلها واخذ عالمها السيد قدور الدبي اسيرًا في اهله
وولده فنهض من فوره وكان العدو الى وهران مسرعًا فادركه الامير في الدار
البيضاء قرب البلد وحمل عليه وكان قد قدم الاسرى والاثقال وضعفاء الجند
الى ناحية البلد واستمر يدافع عنهم الى ان دخلوها وفات الامير تدارك الامر
واستشهد يومئذٍ من اعيان المسلمين علي بن الحبيب الرحاوي والميلود الغراوي في
آخرين واما العدو فكان يحمل قتلاه فلم يعلم عددهم وهذه اول غزوة للعدو على
داخلية بلاد وهران فعظم ذلك على المسلمين واخذوا حذرهم منه وعين الامير قبيلة
الغرابة لمراقبته وسد الطرق عنه ومنع مواصلة الاوغاد الناس له وبعد ان بث
العيون ممن يوثق بدينهم رجع الى معسكر ثم جهز جيشًا من الحشم والدوائر
والغزاة الى وهران فعاثوا في نواحيها واثخنوا ونهبوا وغنموا وفي اثناء ذلك وقع
تهارش بين قبائل البربر في نواحي نهر مينه افضى بهم الى القتال فطار الخبر الى
الامير فعجل بالسير اليهم واصلح شأنهم وجمع كلمتهم وبالغ في عقوبة من اثار الفتنة
واسعرها وكتب على عقد الصلح بينهم ما نصه قد امضينا بحول الله وقوته الصلح
المبرم بين بني فلان وبني فلان بعد ما امرنا به وعفونا اثر ما كان بينهم من
بقايا حمية الجاهلية والزمنا كل فريق منهم ان يقف عند حده وان يرفعوا جميع
ما يعرض لهم من الدعاوى والقضايا الى من ولينا امرهم حسبما حرر ذلك في
الاصل واوجبنا العمل بمقتضاه ورتبنا العقوبة الشديدة على من يتعداه فمن سعى
في نقضه او تعرض لافساد كله او بعضه فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى وغضبه
وتلزمه المجازاة العنيفة من جانبنا العالي بالله وعلى هذا النص اجرى الصلح بين
اولاد الاكرد واولاد شريف وبني تسلم وغيرهم وارتفع النزاع بين سائر القبائل

الشرقية ثم بلغه انتقاض ابن نونة قائد الحضر في مدينة تلمسان فسار اليه من حينه حتى انتهى الى البلد وبعث اليه يعظه ويأمره بالرجوع الى الطاعة ويعده بالعفو فابى وتمادى على شأنه ثم جمع قوته وخرج لقتال الامير وقام الكول اوغلان وهم الطائفة الثانية من اهل تلمسان وقائدهم ابن عودة في داخلها مستمرين على الطاعة فلما خرج ابن نونة وطائفته الحضر من البلد للقتال انتهزوا الفرصة فيهم للعداوة القديمة بينهم فظاهروا الامير عليهم ووقع القتال داخل البلدة وخارجها ثم كانت الدبرة على ابن نونة وفرقته واستمر القتل فيهم ونهبت اموالهم وعاث الكول اوغلان في منازلهم وفر ابن نونة الى ضريح الغوث سيدي ابي مدين رضي الله عنه في قرية العباد بتشديد الباء الموحدة ثم دخل الامير الى تلمسان ومن الغد توجه الى زيارة الغوث ووجد ابن نونة متعلقًا باستار الضريح لائذًا به فامنه وعفا عنه وتقبل فيئته واقره على قيادة طائفته ولم يزل الامير في تلمسان ونواحيها الى ان اصلح خللها وابرم الصلح بين الحضر والكول اوغلان وجمع كلمتهم ثم رجع الى معسكر وفي اثناء الطريق بلغه خبر موت والده سيدي الجد رحمه الله في ثالث ربيع الاول سنة تسع واربعين ومائتين والف وعشرين من يوليه سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة والف وكان الفرنسيس ابتنوا حصنًا على البحر في ساحل بلاد تجاهر وشحنوه بالحامية والذخيرة وزعانف تلك الناحية يواصلون اهله ويعاملونهم بالبيع والشراء فلما آب الامير من تلمسان اجمع على النهوض الى تلك الناحية فجمع شانه واغذ السير اليها الى ان قرب من الحصن وكان اهله يخرجون كل يوم بماشيتهم يطلبون المرعى مستعدين الدفاع فلما خرجوا تربص عليهم حتى اوغلوا في الطلب ثم غار عليهم فثبتوا ودافعوا عن انفسهم وهم راجعون الى الحصن ولم ينج منهم الا من دخله وغنم المسلمون جميع ما كان معهم وكان في المرسى عدة مراكب مشحونة بالذخائر فخاض الجيش اليها وغنموا ما فيها واقام الامير اياما يرتب العيون على الحصن ويأمرهم بالتضييق على اهله وذعر من كان يواصلهم من اهل تلك النواحي ثم رجع الى معسكر وطار خبر هذه الوقائع الى حاكم الجزائر فوجم لها وبعث الصريخ الى دولته فجهزوا الجيوش وارسلوا معها ذخائر ومهمات كثيرة وفوضوا امر الحروب اليه وعزلوا الجنرال بويه حاكم وهران وولوا مكانه الجنرال دي ميشيل فجاءها في رابع ذي الحجة سنة تسع واربعين ومائتين والف والخامس عشر من شهر ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف ووجد وهران تحت الحصار مغلقة الابواب وجيوش المسلمين تجول في انحائها لا

ينترون عن مهاجمتها فضاق صدره لذلك وطفق يلقي الدسائس في قلوب ضعفاء اهل الايمان كالدوائر والزمالة ويمدهم ويمنيهم فاثر ذلك فيهم وفتحوا له طرق المواصلة من جهتهم ثم ان الامير بعد رجوعه من واقعة الحصن الى معسكر اخذ بها اهبة الحرب واستكمل استعدادها وارتحل يريد وهران وكان العدو ابتنى في القرب منها حصناً يعرف بغنور فلما وصل الامير خرج الجنرال دي ميشيل في العساكر وكان القائد عليها يومئذٍ الجنرال بوبريص وتزاحف الفريقان تقسم الامير جيوشه الى فرقتين فرقة تقاتل بوبريص والفرقة الثانية جعلها تحت قيادته وزحف بها على حصن غنور ولما قرب منه ترجل ومشى في مقدمة الجيش وحمل على الحصن مرتين فامتنع عليه وانقلب الى مظاهرة الفرقة المعينة لقتال بوبريص تقوى عزمهم وثبت قلوبهم وحمل بالجميع عليه فهزمه وشتت شمله وولت عساكر فرنسا على ادبارها يطلبون البلد وتبعهم المسلمون واثخنوا فيهم قتلاً واسراً الى ان امتنعوا عليهم باسوارها وبعد انصراف الامير من القتال بلغه ان اهل ارزيو ركنوا الى الفرنسيس بدسائس قاضيهم المعتقل في معسكر واقاربه وانهم احضروا شرذمة من عسكر وهران لحمايتهم ثم دس اليه رجل منها اسمه طوبال انه يخرج كل يوم مع ضباط العسكر في طلب الصيد وعين له المحل الذي يبلغونه فيه فركب الامير في الحال وخالف جموع الغرابة ومن يليهم على حصار وهران وبعث الاسرى الى معسكر واغذى السير الى ارزيو وكمن في القرب من الموضع الذي عينه طوبال فلما خرج الضباط واتباعهم في معية طوبال فاجأهم الامير بخيله وحال بينهم وبين البلد فدافعوا عن انفسهم واتهموا طوبال في امرهم فعدا عليه احدهم بسيفه وقتله ثم اظهروا علامة التسليم والقوا السلاح فامنهم الامير وجعلهم تحت الحفظ وتقدم الى البلد ففرت حاميتها الى المراكب واقلعت بهم الى وهران ودخل الامير فقبض على من توجهت عليه التهمة في مواطاة حاكم وهران في هذه القضية واصلح شان البلدة وثقف اطرافها وانزل فيها حامية كافية وانقلب راجعاً الى الحضرة فانزل الضباط في دار الضيافة وامر باكرامهم والقيام بشؤونهم وعقد للقاضي احمد بن الطاهر البطيوي مجلساً خاصاً من العلماء فامعنوا النظر في امره وقامت البينة عليه فحكم المجلس بقتله فسملت عيناه وقطعت يداه ورجلاه ووضع في حفرة في ساحة الصرابة الى ان مات بعد ثلاثة ايام

﴿ ذكر استيلاء الفرنسيس على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم ﴾
﴿ وغير ذلك من الحوادث ﴾

لما رأى الفرنسيس ان الامير قد استقام امره وقويت شوكته وظهر لهم منه ما لم يكن في حسابهم تقلقلت افكارهم واضطربت آراؤهم فمنهم من يقول ترك البلاد اولى ومنهم من يقول الثبات فيها اليق بالمقام بين الدول ثم قرّ راي الاكثر منهم على مداومة الحرب وبذل الجهد في الاستيلاء على داخلية البلاد وكان حاكم الجزائر يرفع الى وزارة الحرب ما يحدث من الوقائع في وهران وما هي عليه من الحصار وضيق المجال مع قلة الجند والذخيرة فيبعثوا اليه بالمدد فقوي عزمه ودعته نفسه الى الاستيلاء على مستغانم فتوجه اليها في فرقة من الجند واستولى عليها وفر اكثر اهلها الى الداخلية وطار الخبر الى الامير فوجم لها وفاوض رجال دولته ومن حضره من اعيان القبائل وذكر لهم تكالب العدو على الوطن واراهم كيف مدّ يده اليه واستولى على سواحله وقال يوشك ان تغافلنا عنه ان يختل امر المسلمين فاستعدوا لذلك وتداعوا الى الجهاد والذب عن الدين والوطن فجمع الامير الجيوش واحتشد عرب المغرب الاوسط وبرابرة ونهض من حضرته الى مستغانم ونازلها وكان العدو عند دخوله اليها جمع الايدي على ترميم سورها وتثقيف اطرافها وابتنى حصناً خارجها ليستعين به على الدفاع ووضع المدافع في السور والحصن وبالغ في تحصينها ولاول نزول الامير عليها بعث الى اهلها في الخروج منها فخرج الجم الغفير ولحقوا بالحضرة وتلمسان وغيرها من مدن الداخلية وقراها ولم يبق فيها الا من اختار مجاورة العدو من الكول اوغلان ثم ان الامير لما راى امتناع البلد وتحصينها امر باحضار المعاول والفوس وغيرها من آلة الهدم والعدو لما راى الجيوش الاسلامية ملات انحاء البلد حام عن اللقاء وانجحر داخلها ورتب عساكره داخل السور يقاتلون منه فامر الامير بالهجوم فثار الغبار وتزلزلت الارض برعود البارود وتوالت كلل العدو وقنابله على المسلمين فلم يثنهم ذلك واستمروا على هجومهم والامير امامهم الى ان انتهوا الى السور واخذوا في هدمه بالمعاول والفوس فلم تعمل فيه ولما انجزم الامر ولم يتمكنوا من عدوهم امرهم بالرجوع الى مخيمهم وحفر نفق في الارض من العسكر الى السور وجمع الايدي عليه ثم ملئوه باروداً واضرموه ناراً ثم امرهم بالهجوم على السور ولما انتهوا اليه وجدوه قد انفتحت فيه كوة غير كافية لما قصد به من نقب السور او تفعفعه

فعدلوا الى المراكب في المرسى وسبحوا في البحر اليها واضعين اسلحتهم على رؤوسهم فالحت عليهم بالقنابل وظاهرتها حامية الحصن فارتدوا عنها ولما علم الامير ان العدو لا يخرج من البلد ليناجزه الحرب ارتحل الى ارزيو واخلاها من الحامية الاسلامية وعرض الهجرة على اهلها وانقلب راجعاً الى حضرته وخرج حاكم وهران من مستغانم من بعده الى ارزيو واستولى عليها ووضع فيها حامية وذخيرة واستمر ذاهباً الى وهران وكان بين دي ميشيل وقبيلتي الدوائر والزمالة مواصلة خفية فعمل الحيلة ومد يده اليهم وهم في منازلهم من سهل اغبال فاخذ منهم رجالاً ونساء في صورة اسرى ثم ارسلهم في فلك اسراهم فاشترط عليهم الخضوع لدولة فرنسا والسكنى في مسركين من ضواحي وهران فاجابوه الى ما اشترطه ورد عليهم اسراهم وظهر ما كان كامناً في صدورهم واتخذوا امر الاسرى عذراً فيما قصدوه ثم اتصل الخبر بالامير فعظم عنده ذلك ورأى ان لا سبيل الى تدارك امرهم الا بالسياسة النعالة فبعث اليهم من خاصته من يثقون به ويقبلون نصيحته فوعظهم وحذرهم من مكائد العدو وغوائله واوقفهم على ما القوا به انفسهم من مكر الله تعالى وغضبه والخروج عن الدين الاسلامي الذي قام بنصرته وتأييده آباؤهم وافنوا فيه انفسهم واموالهم فاثر ذلك فيهم واذعنوا له واعتذروا بانهم لم يجنحوا الى العدو رغبة عن دين الاسلام ولكن للتوصل الى المعيشة والراحة مما لحقهم من معاناة الحروب ومقاساة الخطوب الى غير ذلك مما لم يجعله الرسول عذراً لهم فيما ارتكبوه واستمر يراودهم ويعظهم الى ان اجابوه وادلجوا في مسركين ورجعوا الى بلادهم وارتاح الامير الى فيئتهم الى الاسلام وبقيت وهران على ما هي عليه من الحصار وقطع الطرق عنها واستمر الامير يبث السرايا والغوازي في نواحي الساحل فيسمونها خسفاً ودماراً ويثخنون فيمن يصادفونه من انصار العدو واشياعه بالقتل والسبي وتارة يشن الغارات بنفسه على الخوارج عليه من قبائل البربر وغيرهم من ظواعن العرب وزناتة ويثخن فيهم حتى يذعنوا الى الطاعة ثم يعطف بعد ذلك الى السواحل ويعظم النكاية في العدو ويرصد من يتردد اليه من اوغاد الناس الذين لادين لهم وجعل ذلك دابه وديدنه الى ان ضاق الحال على الفرنسيس في تلك النواحي وتاخر عنهم اسعاف دولتهم لما كانت عليه من الارتباك الداخلي فجنح الجنرال دي ميشيل الى السلم وطفق ينظر فيما يوصله الى مطلوبه من غير ان يلحقه انحطاط في منزلته عند دولته فاتفق ان محافظي الغور في جهة مستغانم صادفوا رجلاً من متنصري البرجيه راجعاً من ارزيو ومعه نفر من حاميتها

يحرسونه الى ان يبلغ مامنه فحملوا عليهم وقتلوا بعضهم واستاقوا الآخرين الى معسكر فارتاح لها دي ميشيل واتخذها ذريعة لمخاطبة الامير وفي السابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف وفي اول سمتبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة والف خاطبه بتحرير يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر اني لا اتأخر عن كوني اخاطب سموكم بشيء تحثني عليه بواعث الانسانية وان لم تدعني اليه وظيفتي وهو اطلاق سبيل النفر الذين بينما هم يحرسون رجلاً عربياً اذ خرج عليهم كمين من جيوشكم فاخذوهم اسرى ولا اظن ان قوة شهامتكم تأبى هذا وتضع امام طلبي شروطاً لانني كنت من قبل اخذت بعض اسرى من عرب الغرابة والزمالة في ميدان الحرب ثم اطلقتهم من غير شروط وبناء عليه اتأمل ان سمو الامير اذا كان يرغب ان ياخذ من الاعتبار قدراً عظيماً ان لا يطيل المراجعات وان يتم باطلاق الاسرى * فاجابه الامير ان ما وقع من الاسر وسفك الدماء ويتم الاولاد وتايم النساء وسائر ما حصل من المصائب والنوائب العمومية والخصوصية لا مسؤولية علينا فيه وانما المسؤولية والعهدة على القائد الفرنساوي فوجم الجنرال وقواد العسكر لهذا الجواب وعجبوا من شدة الامير وجزالة جوابه قال شرشل الانكليزي في تاريخه عند ذكر هذه القضية ان حضرة الامير عبد القادر اجاب الجنرال دي ميشيل بتحرير يظهر منه دقة افكاره وحسن سياسته حيث انه جعل العهدة على القائد الفرنساوي حتى ان الجنرال وان يكن تأثر بذلك الجواب فانه قال بعد ان امعن النظر فيه شتان ما بين السياسة الفرنسوية والافكار العربية ثم ان الجنرال كتب للامير كتاباً ثانياً ونصه من الجنرال دي ميشيل الى الامير عبد القادر بن محي الدين لي امل بان تطلق الحرية للاربعة الاسرى التعيسي الحظ المحبوسين في قلعة معسكر وما كنت اتردد عن السعي لديكم فيما تمنعني وظيفتي الرسمية عنه حيث تدفعني الانسانية اليه ولعلمي ان البشر الراقين الى الدرجات العليا عليهم ان يمتازوا باعمال كريمة دالة على التفاوت الذي وضعه الله بينهم نارجو الافساح عن الفرنسويين الذين وقعوا في شر مكيدة وهم في الدفاع عن بعض العرب لتخليصهم من انتقام ابناء جنسهم ولا اظن انكم تضعون في طريق ذلك بعض العقبات لانكم اذا رغبتم ان تعدوا من كبار اهل الارض لا تتأخرون عن اظهار كرم اخلاقكم واذا دواعي الحرب اوقعت بين يدي بعض اتباعكم فانا اعدكم بارجاعهم بدون عوض ثم كرر الطلب ثالثة بما نصه الى الامير عبد القادر بن محي الدين بما انني ما اخذت جواب

كتابي الذي ارسلته اليكم منذ شهر فاحب اليَّ القول بانه لم يصلكم من انكم لم تلتفتوا الى قبول مطالبي وعليه جئت اثالث مرة اكرر طلب فك الاسرى الفرنساويين الموجودين عندكم لانهم لم يؤخذوا في ساحة الحرب بل سقطوا باقبح خدعة في اقبح مكيدة وعليَّ ان اذكركم ان فرنسا هي اقوى دولة في الدنيا فليس من الحكمة ان تدوموا على خطة المقاومة فاذا كان اليوم في امكاني ان انتصر عليكم قبل وصول النجدات التي استنظرها فماذا تكون حالكم اذا فرغ صبر فرانسا نحو العرب وارسلت ما تهيئه لي نعندها تهجم عليكم عساكرنا فتفرقكم كما يبعثر الهوى الرمال فاذا رغبتم ان تبقوا في مركزكم الساي فما عليكم الا اجابة دعوتي حتى اذا اجرينا المعاهدات تبادر القبائل الى زرع حقولهم الخصبة غانمين ما يقدمه الشعب العظيم اليهم فجاوبه الامير من عبد القادر بن محيي الدين الى الجنرال دي ميشيل اما بعد فقد وصلنا كتابكم المتضمن افضل النصائح فقدرناها قدرها وعلمنا انكم تحثونا في كتبكم الثلاث على الافساح عن الاسرى وتندبون حظهم مع اننا نعتني بشانهم غاية الاعتناء والافساح عنهم ليس له اهمية لدينا غير ان الحالة التي نحن بها لا تسمح لنا ان نردهم بدون ندية فاذا رغبتم في الاتفاق اقبل تسليم الاسرى اليكم عند المعاهدة بيننا على ان ديننا يمنعنا عن طلب الصلح ابتداء ويسمح لنا بقبوله اذا عرض علينا وان الثقة التي تختصونا اياها في تحاريركم حملتنا على ان نبداكم بالمخابرة وان المفاوضة التي تطلبونها يقتضي ان تكون مبنية على شروط محترمة منا ومنكم ولا يحصل الاتفاق الا اذا عرفتموني شروطكم وما تطلبونه مني وانا اعرفكم بمثلها والله المعين وكيف تفاخروني بقوة فرنسا ولا تقدرون القوة الاسلامية مع ان القرون الماضية اعدل شاهد على قوة الاسلام وانتصاراتهم على اعدائهم ونحن وان كنا ضعفاء على زعمكم فقوتنا بالله الذي لا اله الا هو ولاشريك له ولا ندعي بان الظفر مكتوب لنا دائماً بل نعلم ان الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا غير ان الموت مسر لنا وليس لنا ثقة الا بالله وحده لا شريك له لا بعدد وعدد وان دوي الرصاص وصهيل الخيل في الحرب لآذاننا من الصوت الرخيم فاذا سمتم على عقد صلات ودادية دائمة بيننا وبينكم فافيدونا حتى نرسل اليكم رجلين من كبار قومنا ماذونين بالمفاوضة معكم وحينئذ تتم امانيكم بمعونة الله ولا تظنوا باننا نأسف اذا اضطررنا الى ترك البلاد لاننا نعلم يقيناً ان الارض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده وقد سلمنا وراثتها فحيث ما كنا نجد امتنا وقد ظهر لنا من مضمون

كتبكم انكم تحتقرون قوة العرب مع دوام استعدادهم للقتال ومسابقتهم للنزال في كل زمان ومكان واذا فحتم التواريخ تروا ما اجروه في آسيا وجهات الشام من الجراءة والثبات والاقدام والفتوحات التي اظهرها الله على ايديهم واني اعتذر لعدم جوابي على كتابكم السابق باني كنت مشغولاً في الوقت الذي استلمته وعندما كتبت الجواب كان رسولكم ترك معسكر وتوجه لطرفكم وهذه المراجعات اوقفت الجنرال وقواد العسكر في ميدان علموا منه انهم يخاطبون اماماً عادلاً وتعلقت آمالهم بالوصول الى مامولهم وقال بعضهم عند ذكر تحرير الجنرال ما ملخصه هذا المكتوب لم يكن لتحريره محل في مجال السياسة لانّ الحرب بين الامير عبد القادر والفرنساوية ما برحت قائمة على قدم وساق وبحسب اصول الحرب يحق لهذا الامير ان يحاصر المدن والقلاع الموجودة بايديهم وان يرصد سائر طرقاتهم ويمنع المواصلات التجارية وغيرها وان يجري القصاص على من يتعرض لها ثم قال فانظر الى هذا الجنرال الذي يدعي الفطنة والمعرفة بالنظامات الحربية كيف كبا به جواده في ميدان سطور تحريره المذكور الذي لا يمكن تحريره الا في حال السلم ولذلك اجابه حضرة الامير اخيراً . بعد التحية وصلني كتابك الذي اظهرت فيه رغبتك في الحصول على اطلاق الاسرى الذين اوقعتهم الاقدار الربانية بين يدي وقد فهمت جميع ما تضمنته رسائلك وما اشتملت عليه من تكرار الطلب ومن المعلوم عندكم ان جميع الاسرى الذين اوقعوا في ايدي عسكركم في ميادين الحرب لم اتعرض لكم ولا لمن كان قبلكم في اطلاقهم ولا اتعبت افكاركم بمراسلة قط لان حكمهم عندي حكم الاموات وموتهم اعتبرها حياة لهم غير اني كنت اتالم عليهم شفقة ورحمة وقولكم ان هؤلاء الاسرى الذين تطلبون اطلاق سراحهم ما كان خروجهم لامر يتعلق بكم بل كانوا يحمون عربياً من انتقام ابناء وطنه فهذا لا اعتبره وسيلة لاطلاقهم فان الحافظ والمحافظ عليه كلاهما اعداء لنا وانتهاز الفرصة في الانتقام منهم غاية مقصودي وسائر العرب الذين عندكم اوغاد واراذل يجهلون واجباتهم الدينية هذا واني رايتك تفتخر بانك اطلقت الاسرى من الغرابة والزمالة من غير شروط مع انك لو راجعت افكارك لوجدت ان رحمتك انما كانت لاناس استظلوا بظلكم والتجأوا بحماكم يملئون اسواقكم ذخائر ويكونون عيوناً لكم على المسلمين ويخدمونكم بكمال الصدق ومع ذلك فان عسكركم قد سلبوهم كل ما يملكونه فلو كان هذا المعروف الذي تحتجتم به مع غير هؤلاء كالحشم او بني عامر مثلاً لكان يحق لكم الافتخار

وكنتم تستحقون الشكر وعلى كل حال فمتى خرجتم من وهران على مسافة يوم او يومين يظهر للعيان من يستحق الفخر منا . قال المؤرخ الانكليزي لو كان هذا الجواب الكبريائي في غير تلك الايام لاهاج في صدر الجنرال الفرنساوي نيران الحماسة وحرك منه سواكن الاحن وربما صاح باعلا صوته وقال اين العربي المبارز والبطل المناجز ولكن الوقت لم يساعده وكان دي ميشيل لما ارتحل الدوائر والزمالة من جواره ورجعوا الى بلادهم حفظها لهم نعند ما خسرت صفقته من مخاطبة الامير ولم يحصل منها على طائل غزاهم واخذهم على غرة وطار الخبر الى الامير فاغزى السير وواصله وقطع مسافة خمسين ميلاً في ثلاث ساعات وكان العدو لكثرة ما في يده من المسلوبات والاسرى رجع الى وهران على مهله فادركه الامير قبل وصوله اليها وحمل عليه حملة شتت بها شمله واوهى بها قوته ولم يسعه الا الفرار فاتخذه وسيلة النجاة وترك جميع مما استولى عليه من المسلوبات والاسرى في ايدي المسلمين كما انه ترك قتلاه في محل المعركة ولحق فله بوهران ثم ان الامير ردّ على الدوائر والزمالة مسلوباتهم واسراهم وامرهم بالرحيل الى تتوزعت في نواحي تلمسان فارتحلوا في العشرين من رجب سنة تسع واربعين والرابع من دسمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وبعد هذه الواقعة انسد باب المخابرة بين الامير وحاكم وهران فيما كان بصدده

﴿ ذكر رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة ﴾
﴿ مع الامير واظهار رغبته في السلم ﴾

كان الجنرال دي ميشيل معروفاً عند دولته بانه من رجال الحرب وابطال الطعن والضرب نعزلوا الجنرال بوية وولوه مكانه وبوصوله اضرم نار الحروب وفتح باب الشدائد والخطوب فكانت الدبرة فيها عليه ودام ويلها يصابحه ويماسيه ولم يزل على ذلك الى ان يئس من نجاحه في امره وعجز عن درك ما كان يؤمله من فوزه فرجع القهقرا واخذ يدبر فيما يخلصه من ورطته ويكون وسيلة للوصول الى رضاء دولته فلم يرَ اوفق من وضع اوزار الحرب والتملص من شرك الشدة والمطاب ففتح لذلك بمراسلة الامير باباً وهيأ لها اسباباً تحيل بينه وبين مراده وعاد الى مقارعته وجلاده ثم رأى ان دون فوزه خرط القتاد فعاد الى ما عول عليه اولاً من قرع الباب ومعاطاة الاسباب قال المؤرخ الانكليزي لما استعظم دي ميشيل جراءة عدوه

الاسد الكاسر وسرعة حركته في النواحي فكانه في كل ناحية حاضر تبين له ان تدبيراته لم تنتج له الظفر بالآمال وتأسيسات افكاره قد اعتراها التلاشي والاضمحلال وان سور الحصار قد حال بينه وبين الزاد وبلاء المجاعة ما برح في شدة وازدياد وعجز عن المدافعة بعد بذل الجد والاجتهاد فلم ير احسن من الصلح او تخلية البلاد ثم فكر في امره واوفد على الامير مردخاي الموسوي في طلب الصلح واتبعه برسالة يقول فيها . الى سمو الامير عبد القادر حيث لا تجدني ايها الامير غافلاً ابداً عن كل فعل حسن فاذا كان سموكم تريد ان تخابر في امر المعاهدة فانا مستعد لذلك مع الامل انه يمكن الحصول على معاهدة موافقة يتوقف بها سفك دماء امتين اقتضت الارادة الآلهية ان لا تكونا تحت سلطة واحدة حرر في رجب سنة تسع واربعين وفي دسمبر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية . قال بعضهم فهذا الكتاب حقق لحضرة الامير عبد القادر ما كان يتصوره وهو ان عدوه وقف موقف المستغيث ولذلك ضرب عن رد الجواب صفحًا وانما قال للرسول وهو مردخاي انه بحسب الوقت الحاضر لا يمكنني ردّ الجواب وان كان الجنرال يسمح بايضاح وتفصيل في هذا الامر فهو اولى فلما وصل اليهودي الى الجنرال وبلغه الرسالة الشفاهية عن لسان الامير عبد القادر تلقاها بالقبول وردّ مع اليهودي كتابًا آخر يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر حيث لم يصلني جواب من سموكم عن التحرير الذي قدمته وقع في فكري انه لم يصل اليكم لا انه وصلكم ولم تهتموا به حيث انكم لا تعلمون شيئًا اوفق لحفظ المقام الذي رفعتكم الظروف اليه من التسليم بطلبي لانه بواسطة المعاهدات المطلوبة التي نعقدها بيننا تتمكن الاهالي ان تلتفت الى فلاحتها وتتمتع بلذة حاصلات اراضيها وتذوق حلاوة السلم بدلاً عن مرارة الحروب . ثم املى كتابه بعبارات اوضح من الاولى وابين في طلب الصلح .

﴿ ذكر ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية ﴾

لما اتصل مكتوب حاكم وهران بحضرة الامير جمع رجال دولته واعيانها واخبرهم بما وقع بينه وبين الجنرال من المخابرات في شان اسرى ارزيو اولاً ثم في امر المهدنة ثانيًا واستشارهم في ذلك واستكشف ما عندهم فيه فرآهم جانحين الى السلم راغبين في عقد المهدنة لاسيما ان العدوّ هو الطالب لها والراغب فيها . قال شرشل الانكليزي ما حاصله قد تمكن هذا الامير المظفر الحديث السن من ان يطلع رجال دولته ورؤساء

رعيته على إهدائه المكتوب الذي هو في الحقيقة سند يشهد له بان العدو هو السابق في التماس الصلح وقد تأتى له ان يجيب اليه اذ لا داعي للتأخر عنه فلذلك حرر في جوابه بعد التحية وصلني كتابك ايها الجنرال المحترم وفهمت ما ذكرته فيه واعلم ان افكارك مواطئة لافكاري موافقة لها وبذلك تحققت استقامتك فكن منا أكيدًا بان الشروط التي توفقنا العناية الالهية لاجرائها بيننا نتمسك بها بصدق عظيم ولا نتجاوزها وها انا مرسل نحوك معتمدين وهما وزير الخارجية الميلود بن عراش والآغا خليفة بن محمود ليتخابران معك في الشروط التي يمكن اجراؤها وحينئذٍ تجري المعاهدة وتذهب العداوة من بيننا ونستبدل لها بالصداقة التي لا تخل بقاعدة وينبغي لك ان تثق بي لاني والحمد لله لم تسبق لي خيانة في عهدي ولا نقض لعقدي . ثم قال وكانت المقابلة بين القواد الفرنساويين ومعتمدي عبدالقادر خارج وهران على فرسخين منها في خمس وعشرين خلت من شهر رمضان سنة تسع واربعين ورابع فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية وجرت مذاكرة طويلة في قضايا مختلفة قدمها الجنرال دي ميشيل ثم ركب وزير الخارجية راجعًا الى العسكر ومعه نسخة الصلك المشتمل على المسائل التي وقعت المذاكرة فيها بغير تعديه من الجنرال ونصها

اولاً ان العداوة من هذا اليوم تبطل بين الفرنساوية والعرب ثانيًا ان الفرنساوية تلتزم بتكريم ديانة الاسلام مع عوائدهم ثالثًا ان العرب تلتزم برد الاسرى الفرنساوية رابعًا ان يكون السوق حرًّا خامسًا ان العرب تلتزم برد من يهرب من الفرنساوية اليهم سادسًا من اراد السفر في الداخلية من الفرنساوية يجب ان يكون بيده رخصة مختومة من قنصل الامير ومن قنصل الجنرال . ولما اطلع عليها الامير وافق عليها وامضاها بخطه ثم حرر ورقة اخرى ذكر فيها ما اشترطه وهي اولاً يكون للعرب الحرية بان يبيعوا ويشتروا كلما يتعلق بالحرب ثانيًا يكون تجر مرسى ارزيو تحت ولاية الامير كما كان قبلا بحيث لا يصير شحن شيء الا منه واما وهران ومستغانم فلا يرسل لهما الا البضائع اللازمة لاهلها ثالثًا يلتزم الجنرال بترجيع كل من يهرب اليه من العرب مقيدًا مع انه لا تكون له سلطة على المسلمين الذين يحضرون عنده برضاء رؤسائهم رابعًا لا يمنع مسلم من الرجوع الى بيته متى اراد . وفي اليوم الخامس رجع وزير الخارجية واجتمع بالجنرال دي ميشيل داخل وهران واخبره ولم يسلمه ورقة مطاليبه الا بعد ان امضى ورقة الامير التي فيها شروطه ثم ان الجنرال اختار ان يكون صلك الهدنة واحدًا تحرر فيه مطاليب الامير بالخط العربي ومطاليب الجنرال بالخط الفرنساوي وكل منهما يمضي للآخر على شروطه بخطه فاجابه ابن عراش الى ذلك ونص الصلك . ان قائدي الجيش

الفرنساوي المقيم في وهران الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر بن محي الدين اعتمدا واتفقا على ما ياتي ذكره من الامور الاول منذ يوم تحريره يصير ترك الحروب والخصومات بين الفرنساويين والعرب وكل من الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر يجتهد في القاء الالفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية ان لا يكونا تحت سلطة واحدة ولاجل ذلك تعين وكلاء من الامير عبد القادر في وهران ومستغانم وارزيو كي لا تقع الخصومة بين الفرنساوية والعرب كما انه يقام وكيلاً عن فرنسا ضابط فرنساوي في معسكر الثاني يصير احترام ديانة الاسلام وعوائدهم الثالث يلزم ردّ الاسرى من الفريقين الرابع يصير اعطاء الحرية الكاملة لتجارة الخامس تلتزم العرب بارجاع كل من يفر اليهم من العسكر الفرنساوي ويلتزم الفرنساويون بتسليم كل من يفر اليهم من اهل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث السادس من اراد من الاوربيين يسافر الى داخلية البلاد يجب ان يكون مصحوبًا بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير واصححها الجنرال وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقاليم حرر في وهران في السابع عشر من شوال سنة تسع واربعين ومائتين والثامن والعشرين من شهر فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف ثم ان ابن عراش اخذ الصك وعرضه على حضرة الامير وبعد اطلاعه عليه وامعان النظر فيه امضاه بخطه ورجع ابن عراش الى وهران فلما رآه الجنرال وعلم ان الامير وافق على ما حرر في الصك وانه امضاه تهلل وجهه واظهر لابن عراش بشاشة زائدة لم يعهدها منه قال المؤرخ الفرنساوي لويس دينلوت في تاريخه عند ذكر هذه المعاهدة ان الميلود بن عراش وزير السلطان عبد القادر ومعتمده في عقد المعاهدة مع الجنرال دي ميشيل لما وفد عليه حاملاً صكها الذي صادق عليه الامير قابله بكمال الاحترام والاحتفال وكان امراء الجيش الفرنساوي جالسين على حسب مراتبهم والعسكر مصطفة حولهم يسمعون ما تقرر في الصك وبعد تلاوته امضاه الجنرال بخطه ثم التفت الى ابن عراش وفتح معه باب المذاكرة فقال ان العرب لا تجهل قوة فرنسا واستعدادها فاجابه ابن عراش نعم ان العرب لا تنكر قوة سلطنة فرنسا واقتدارها ثم قال الجنرال انني كنت عازمًا قبل عقد المعاهدة على ان اطلب من دولتي عشرة الآف جندي زيادة على ما عندي واخرج من هذه المدينة وتابع محاربتكم مدة شهر وما يدريك ياميلود ان بهذا الفعل يدخل على سلطانك الوهن ويلحقه الضعف فاجابه ابن عراش اننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب ولكن محاربة هجوم واقدام ولو فعلت ما قلت وخرجتم

بهذه القوة كنا نتقهقر امامكم متوغلين في الصحراء باهلنا واثقالنا وفي حال هذا التقهقر نناوشكم القتال حتى لاترجعوا عنا ثم نصابركم حتى تضعف شوكتكم وتلين قوتكم ومتى سنحت الفرصة وتورطتم في فيافي الصحراء قلبنا الكرة عليكم واحاطت جيوشنا بكم من كل ناحية وتكون ذخائركم نفدت وقوتكم ذهبت وعساكركم لحقها التعب واضر بها السغب فحينئذٍ ماذا كنت تصنع ايها الجنرال قال فلما سمع الجنرال هذا الجواب المفصح عن جمل من اوضاع الحرب التي لم تخطر له على بال تعجب ولم يسعه الا السكوت وتفرّق المجلس وانقلب ابن عراش الى الحضرة بعد ان اتم سفارته . وشاع امر المعاهدة وارتفع الحصار عن وهران ومستغانم وارزيو وسلكت الطرق اليها من الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الامير فعين مردخاي بن دران الموسوي في الجزائر ومحمد بن يخ في وهران والآغا خليفة ابن محمود في ارزيو وعين سفير فرنسا الكومندان عبدالله ويسون في معسكر واصله من مماليك الامراء المصريين استخدمته دولة فرنسا في العساكر المشاة وامست افكار الجنرال دي ميشيل هاجعة على بساط الراحة لعلمه ان هذه المعاهدة صارت حداً فاصلاً بينه وبين الغوائل السابقة وطير الخبر الى وزارة الحرب في باريز فاجابه ان الملك صادق على المعاهدة وانتقد عليه اموراً اخل بذكرها في صك المعاهدة نفهم الناس ان دولة فرنسا انشرحت لعقد المعاهدة ولم تنشرح لشروطها وايد لهم ذلك انها اخذت في استعمال الوسائط لنقضها قال المؤرخ لويس دينليوت ان دولة فرنسا قد حاولت ان تنقض هذه المعاهدة واستعملت لذلك مكايد متنوعة ولكن فطنة الامير ومعرفته بالسياسة عرقلت امورهم وافسدت سبيل نجاحها انتهى . وقصارى ما يقال ان تلك المعاهدة كانت عبارة عن متاركة لا تخلو عن مخاتلة من الطرفين وذلك ان كلاً من الامير والجنرال دي ميشيل جعل لنفسه باباً في صكه يخرج منه متى شاء وعلى كل حال فان الامير ارتاحت افكاره من جهة الحروب الفرنساوية وانصرفت همته لتنظيم الوطن وتوسيع سلطنته في بلاد المغرب الاوسط كما قال بعض مؤرخي الافرنج كانت هذه المعاهدة كناد قام ينادي في اندية العرب بوجوب طاعة هذا الامير فسمع نداءه واجيب دعاه وامتد ملكه وبعد صيته ومداه كما انها جعلت للفرنسيس نوع سلطة في الاماكن التي استولت عليها . ولما وصل عبدالله ويسون الى العاصمة دخل على الامير في القاعة الملوكية بملابسه الرسمية وقدم اليه الرقيم المعلن بتعيينه وكيلاً عنده فلما قراه قال له الآن ادخل علينا السرور حيث اننا نظرنا شروط المعاهدة

اخذت مفعولها وظهرت من القوة الى الفعل وامره ان يواصل التردد عليه ويرفع ما يعرض له من الحاجات اليه وغب خروجه من الحضرة الاميرية توجه لزيارة ارباب الدولة واعيانها في منازلهم ثم قابلوه بمثلها في منزله واظهر لهم غاية الميل والمحبة وخدعهم بلسانه العربي الفصيح ثم ان المسلمين الذين كانوا هاجروا من وهران ومستغانم تشوقت نفوسهم الى الرجوع اليها وانتهزوا فرصة المعاهدة فمنعهم الامير واوعز الى قناصله بمنعهم وسد باب القبول في وجوههم وفي سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف بعد ابرام المعاهدة وصل وفد السلطان عبد الرحمن بن هشام صاحب المغرب الاقصى لاداء التهنئة للامير بالملك واصحبهم هدية من نفائس بلاده ومقدارًا وافرًا من ذخائر الحرب وادواته فاكرم الامير وفادتهم واعظم جانبهم وكان نفر من العساكر الفرنساوية فروا الى المغرب الاقصى فبعثهم السلطان مع الوفد ليرى الامير رايه فيهم فقبلهم وارسلهم الى الجنرال دي ميشيل فاهتز لذلك فرحًا وعلم صدق الامير ووفاءه بعهوده ووعوده ولما فرغ الامير من هذه الاعمال صرف همته الى تمهيد القاصية من البلاد وردع اهل البغي والفساد كالدوائر والزمالة ومن شايعهم كابن العربي ومن تبعه من قبائل شلف وابن الخثي رئيس البرجية وكان الامير لما تقلد امر الامة واشتغل بالجهاد نظر فيما يلزمه من النفقات فرأى ان ما يجبى من اموال الزكاة والاعشار لا يفي بواجباته فطرح المسئلة في مجلس الشورى للنظر فيها فاتفقت آراؤهم على فرض ضريبة على الرعية تسمى معونة بضم العين وبنوا ذلك على اساسات شرعية مؤيدة بنقول فقهية واعمال سلفية فلما تم امر المعاهدة قام اولئك الظلمة وبثوا دسائسهم في افكار العامة بان البيعة انما كانت على الجهاد وحمل اثقال الضريبة انما كان لنفقاته وحيث ان الجهاد طوى بساطه والامير ركن الى مسالمة العدو فلنا ان نرجع في بيعتنا ونمتنع من دفع اموالنا فاثرت دسائسهم في بعض القبائل كبني عامر فامتنعوا من دفع المعونة واتصل خبرهم بالامير فاوعز الى مصطفى آغا بن اسماعيل رئيس الدوائر ان يركب عليهم فيردعهم ويجبي اموالهم فارتاح لها ابن اسماعيل لما تهيأ له في ذلك من الخذلان منهم ثم راجع الامير افكاره فطن لدسائس ابن اسماعيل فكتب اليه بالكف عنهم وسار اليهم بنفسه فدافعوه وقاتلوه ثم اوفدوا على الامير جماعات من اعيانهم فاستدفعوه على التغرير على الناس في امر المعونة فازعم الوجوه التي بعثته على اخذها منهم ثم قال اعلموا ان الغاية الوحيدة في قبولي لتقليد هذا المنصب ان تكونوا آمنين على انفسكم واعراضكم واموالكم مطمئنين في بلادكم متمتعين بوظائفكم الدينية ولا يمكن ان ابلغ مرادي من ذلك الا

بمساعدتكم مالاً ورجالاً وبهذا تعلمون ان المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم ولا اظن ان يخطر في بال احدكم ان الاموال التي تؤخذ منكم ابتغيها لنفقاتي الشخصية لعلمكم وتحققكم انني غني ملي بما خلفه لي والدي وبالجملة فنحن لا نطلب منكم الا ما تجبركم الشريعة على دفعه وتجبرنا على اخذه فراجعوا انفسكم وسدوا آذانكم مما يلقيه اهل الفساد اليكم وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما بينكم ويصلح شؤنكم ولا يتم لكم ذلك الا بطاعتنا قال الله تعالى يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فلما سمع الناس كلام الامير انشرحت صدورهم واظهروا الاذعان لاوامره والطاعة لاحكامه ولقدم اليه وفد بني عامر سيف شانهم فبرؤا ساحتهم مما نسب اليهم من الخروج عن الطاعة ومنع الجباية واوقفوه على دسائس مصطفى بن اسماعيل واشياعه واخبروه بما هو عازم عليه من نبذ الطاعة وذكروا له ما لحقهم منه من الظلم والعسف فاسرها في نفسه واكرم الوفد وردهم الى بلادهم في غرة ذي الحجة سنة تسع واربعين والحادي عشر من ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف توجه قاصداً تلمسان ونواحيها فطار الخبر الى الدوائر والزمالة فاحتشدوا واستجاشوا بعرب رياح واهل انكاد وصمدوا لقتال الامير ولما قرب من منازلهم بعث الى ابن اسماعيل وغيره من اعيانهم يدعوهم الى الحضور عنده لينظر في حوادثهم مع بني عامر فاستنكفوا وزحفوا اليه بجموعهم ودارت بينه وبينهم حرب انكشف فيها اولا الخوارج وتركوا جميع موجوداتهم فلما اكب جيش الامير على الغنائم والتهوا بالتعبية عطف عليهم الخوارج بجموعهم من كل ناحية فهزموهم وكان الامير على حدة في فرقة قليلة فلما راى الهزيمة قد استولت على جيشه حمل عليهم مع كثرتهم فاصيب فرسه ووقع بين الصفوف فاردفه ابن عمه السيد المولود ابو طالب ثم ركب فرساً آخر واتصل القتال الى الغروب وقتل من الفريقين عدد كثير وجرح ابن اسماعيل في جملة من بني عمه ثم بلغ الامير ان الخوارج يكيدونه في تلك الليلة فتغافل عن ذلك ونام مع كافة الجيش في غاية الامن فلما كان الثلث الاخير من الليل هجم الخوارج على المعسكر فاستولوا على موجوداته وتخلص الامير من بينهم وبعد طلوع الشمس تراجع الناس اليه فانقلب بهم الى حضرته وطار الخبر الى حاكمها محمد بن السنية فجمع الايدي على تجديد ما سلبه الخوارج من ادوات الملك ومهماته وهيأ الموكب الملوكي ولما قرب الامير من الحضرة تلقاه بذلك وتلقاه العلماء والاعيان ودخل عاصمته في الهيئة التي خرج فيها واصبح في دار ملكه على ما كان عليه

ترى الناس في ابوابه ورحابه ☆ كأنهم من فرط كثرتهم نمل

ولما راى الخوارج ان حادثتهم لم تحدث في امر الامير ضعفاً ولا في افكار رعاياه تشويشاً ندموا ندامة الكسعي واقاموا يترقبون شديد الانتقام ووقعوا من امرهم في حيرة وقد تبرأ منهم الحميم وتباعد عنهم القريب ولم يبق على مشايعتهم الا ابن الغازي وقومه والبعض من قبيلة رياح وسلم بما وقعوا فيه من الوبال والخسران والذلة والهوان وما آل اليه امرهم ان شاء الله تعالى

ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به

لما علم الامير ما بين الجنود المنتظمة والحشود المتطوعة من الفرق العظيم عزم على تنظيم جند كاف يكون دابه التمرين والتدريب ليصل بقوته ومعرفته بالامور الحربية الى مقاصده الجسيمة فبعد رجوعه من واقعة الدوائر عقد مجلساً عمومياً من رجال الدولة واعيان الرعية وزعمائها وخطب عليهم خطابة اوضح فيها فوائد العسكر النظامي ومنافعه واخبرهم انه اعتزم على تنظيم عدد منه كاف فاجابه الجميع الى ذلك ووافقوه عليه وطفق المنادي يقول باعلا صوته في الاسواق ليبلغ الشاهد الغائب انه صدر امر مولانا ناصر الدين بتجنيد الاجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد فمن اراد الدخول تحت اللواء المحمدي وشمله عز النظام فليسارع الى دار الامارة معسكر ليتقيد اسمه في الدفاتر الاميرية . فتلقى الناس هذا الامر بانشراح وارتياح وتسابقوا اليه طوعاً من كل جهة حتى من القاصية وصار له موقع عظيم عند العامة والخاصة واستحسنه كل عاقل ووافق عليه كل فاضل وامتلات عند سماع امره قلوب الاعداء رعباً وعلموا انهم قد حملوا انفسهم من عداوة الامير امراً صعباً وامست افكارهم في قلق وقلوبهم بنار الخوف في التهاب وحرق ولم يكل الامير امر الجند لغيره بل هو تولى ترتيبه وتنظيمه بنفسه فجعله ثلاث فرق . فرقة مشاة . وفرقة يركبون الخيل وعرفوا بالخيالة . والفرقة الثالثة مدفعيون وولى قائد على المشاة والخيالة من مشاهير الابطال قدور بن بحر وعبد القادر بن عز الدين ومحمد قوشارمه ومحمد السنوسي وسالم الزنجي واحمد الخديوي وغيرهم كل واحد على الف جندي وولى على المدفعيين محمد آغا المعروف بابن ككسه (الكول اوغلي) ووضع لهم قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها (وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب) ونصها . حمداً لمن اعز كلمة نبيه سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم واعلاها . ومكن شريعته على اساس التقوى وبناها . وصلاة وسلاما على نبي الملاحم . المؤسس ترتيب الصفوف كانهم البنيان المرصوص او الموج المتلاطم من كان يتقي به اكابر اصحابه رضي الله عنهم وارضاهم . وجعلنا ممن اقتدى بهم ووالاهم . وبعد فانه لما كان يجب للجيش وضع قوانين لايتعداها . وهيآت لتميز بها وشؤون اخرى لا بد ان يرعاها . وكان من ولاه الله امرنا واختاره اميرا علينا ناصرا للدين سيدنا ومولانا عبد القادر بن محيي الدين . ايده الله عارفا بذلك . خبيرا بتلك المسالك . وضع لعسكره المحمدي . وجنده الاحمدي . قوانين تجري امورهم عليها . ويرجعون في شؤنهم اليها . وهيئات تتميز بها امراؤهم . وترتيبات يكون عليها اعتمادهم . ثم امر نصره الله بجمعها فجاءت بحمد الله كما امر . وعلى الوجه الذي صدر . سميتها (وشاح الكتائب . وزينة العسكر المحمدي الغالب) ورتبتها على مقدمة واربعة وعشرين قانونا وخاتمة اما المقدمة فانها تشتمل على مسائل الاولى رتب نصره الله عسكره على ثلاثة اصناف . الاول الراكبون وسماهم الخيالة . الثاني المشاة وسماهم العسكر المحمدي . الثالث المدفعيون وسماهم الرماة والطوبجية وجعل على كل صنف من هؤلاء الثلاثة رئيسا فعلى الالف خيال آغة وعلى الخمسين سيافا وعلى العشرين رئيس الصف ودونه الجاويش ولكل الف وكل مائة كاتبا وعلى الكتاب رئيسا سماه باش كاتب واما العسكر المحمدي فانه قسمه الى مئات وقسم كل مائة الى ثلاثة اقسام وجعل لكل قسم خباء ورئيسا عليه سماه رئيس الخباء اي الخيمة وعين له نائبا يقوم مقامه وسماه خليفة رئيس الخباء وجعل على كل ثلاثة اقسام من هؤلاء رئيسا سماه سيافا وعين لهم كاتبا يخصهم وجعل على كل عشرة من السيافين فاكثر رئيسا سماه آغة ورئيس العسكر المحمدي وشأنه النظر في احوال السيافين فمن دونهم واما الطوبجية فيسمى رئيسهم باش طوبجي وعين لكل مدفع اثني عشر جنديا يقومون بامره وعليهم رئيس وكاتب . المسئلة الثانية كسوة العسكر المحمدي على نوعين الجوخ والكتان اما الجوخ فعلى ثلاثة اصناف احمر قان وهو الاعلى وادنى منه الجوخ العسكري وهو الاحمر الكاشف والصنف الثالث اسود فاما الصنف العالي الجيد فلرئيس العسكر المحمدي ولرئيس الخيالة واما الصنف الذي دونه فهو للسيافين والكتاب اصحاب الرتبة الاولى ومعلم الحرب والطنبورجي وهو صاحب الطرنبيطة واما الاسود فلباس الطوبجي ورئيس الاثنى عشر مدفعيا وكاتبهم واما رئيس الصف ورئيس الخباء فكسوتهم متنوعة فيختص رئيس الصف بالغليلة

المعروفة بالمنتان من الجوخ الاسود والسروال من الاحمر وعكسه رئيس الخباء فنتيانه احمر وسرواله اسود واما الكتان فهو كسوة سائر افراد العسكر المحمدي بخلاف الخيالة فان اكسيتهم من الجوخ الاحمر الدون (تنبيه) امر مولانا ان لا يغير احد كسوته المخصوصة به سواء كان آغة او سياقا او رئيس صف او رئيس خباء او خيالاً او طوبجيًا او عسكريًا ولو بلغ ما بلغ في الغنى ومن استهون بهذا الامر فانه يعاقب العقوبة الشديدة وقد جعل مولانا نصره الله لسائر رؤساء الاصناف المذكورة علامات يتميزون بها ويعرف بها الرئيس من المرؤوس فجعل لرئيس العسكر المحمدي وهو الآغة اربعة علامات من الذهب اثنتان على منكبيه احداها مكتوب عليها · اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله · والاخرى مكتوب عليها (الصبر مفتاح النصر) واثنتان في صدره على شكل القمر فذات اليمين مكتوب عليها (لا آله الا الله) وذات الشمال مكتوب عليها (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل لرئيس الخيالة علامتين من الذهب ايضًا احداها على منكبه الايمن مكتوب عليها (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) والاخرى يضعها على صدره مكتوب عليها (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل للسياف علامتين من الفضة على شكل السيف يضعها على عضديه احداها وهي اليمنى مكتوب عليها (لا انفع من التقوى والشجاعة) وعلى الاخرى وهي اليسرى مكتوب عليها (ولا اضر من المخالفة وعدم الطاعة) وجعل لسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة يجعلها على عضده الايسر مكتوب عليها (ايها المقاتل احمل تغنم) وجعل لرئيس الصف علامة واحدة يضعها على عضده الايمن وهي من الفضة ايضًا مكتوب عليها (من اطاع رئيسه واتقى مولاه نال ما يرجوه ويتمناه) ولنائبه علامة من الجوخ الاحمر يضعها على ساعده الايمن وجعل للباش كاتب علامة من الفضة على شكل القمر مكتوب عليها (ناصر الدين) يضعها على ساعده الايمن وجعل لرئيس الطوبجية علامة من الفضة يضعها على كتفه الايمن وهي صورة مدفع مكتوب عليها) وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (المسئلة الثالثة) لما كان يجب على الجند باصنافه اعني المشاة والخيالة والطوبجية ان يكون كل فرد منه عالما بمكائد الحرب متخلقا بها مستعملاً لها عند مقابلة العدوّ ومن غير تكلف عين مولانا لكل صنف من هؤلاء الاصناف معلماً عارفًا نشيطًا حافظًا لجميع ما يجب استعماله حال الحرب وعين نصره الله للعسكر والطوبجية منبهًا سماه الطنبورجي يعني الطونبيطي يجمع العسكر والطوبجية ويفرقهم بنقرات الطنبور اي الطرنبيطة ويدعوهم الاقدام والاحجام وله في تعليم الحرب

صيغ مخصوصة وفي غيره صيغ اخرى منها صيغة للمسه وصيغة لتبديلها وصيغة لاجتماع رؤساء الصف وصيغة لاجتماع السيافين وصيغة للحمل على العدوّ وصيغة للحذر منه الى غير ذلك وجعل نصره الله للخيالة مثبها وهو النفير المعروف بالبوري يجمعهم ويفرقهم باصوات مختلفة يفهمونها وعين لتعليم الحرب والتمرين عليه اوقاتا معلومة في ايام معلومة يخرج فيها العسكر والخيالة والطوبجية كل صنف على حدة حسبما تقضي به عليهم قوانين الحرب (تنبيهات) الاول يجب على رئيس العسكر والسيافين ورؤساء الصنوف وخلفاء الجيع وسائر الجند ان يتعلموا حرب البواريد (البندقيات) الى ان تحصل لهم الملكة ويقدروا على تعليم غيرهم ومن لم يتعلم منهم يعاقب الثاني يجب على المدفعيين ان يتعلموا حرب المدفع من دك ونيشان وحركات المدافع يمينا وشمالا على حسب الحاجة ومن تعلم ذلك وحصله يكرمه مولانا ومن لم يتعلمه يعاقب الثالث وهو آكدها ان الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي وخليفته اذا قاتلا العدو على غير القوانين الحربية وحصل من ذلك اختلال في صفوف العسكر او هزيمة فانهما يعاقبان على حسب اجتهاد السلطان (المسألة الرابعة) اخترع مولانا علامات من خالص الذهب والفضة على شكل بديع سماه الشيعة المحمدية يعني النيشان ونبه على سائر الجند ان من ظهرت شجاعته او ابدى مزية وقت الحرب بان انقذ اخاه من يد العدو او سبق غيره بالهجوم او الكر او ردّ المزية على العدو وغير ذلك من المزايا التي توجب له العز والاحترام عند مولانا وثبت لديه ذلك فانه يمنحه الشيعة ويلبسه اياها بيده الكريمة وتضرب الموسيقى له اعلاما بذلك والشيعة تكون على حسب المزية هذا اذا كان حاضرا بين يديه واما اذا كان مع احد الخلفاء فانه يلزمه ان يثبت مزيته التي يستوجب بها حمل الشيعة عند الخليفة وهو يرفع الامر الى مولانا فحينئذ يامر له بها وسنذكر مراتب الشيعة في آخر الخاتمة (تنبيهات) الاول ان مات الآغة اعني رئيس العسكر المحمدي او السياف او كبير الصف في الحرب فلا ينقطع راتبه وانما يبقى جاريا على بنيه الى ان يقدر احد اولاده على حمل السلاح فيجري عليه بعد ذلك راتب عسكري حتى يترقى في الخدمة فيزاد في راتبه على حسب الرتبة التي ترقى اليها الثاني ان جرح العسكري في القتال جرحا يمنعه من المشي ويقدر على القتال راكبا فانه يدخل في صنف الخيالة وان تعطل بالكلية فانه يجري عليه راتبه من غير شرط الى ان يموت الثالث اذا مرض العسكري مرضا يمنعه من الخدمة بشهادة الاطباء فانه يجري عليه نصف راتبه الى ان يموت (المسألة الخامسة) ان مولانا جعل للمسكوكات الجارية في البلاد

صرفاً معلوماً تتعامل به رعيته وسك نصره الله نوعين من العملة احداها المحمدية والاخرى النصفية فجعل صرف الدور ابو مدفع المعروف بابي عمود اربع ريالات وكل ريال فيه ثلاثة ارباع جزائرية وكل ربع جعل صرفه ثمان محمديات وكل محمدية نصفيتين من السكة الجديدة المضروبة في دار السكة بحيث اذا اطلق الريال لا ينصرف الا الى هذا الصرف وجعل الدور الجزائري ثلاث ريالات الا ثمان محمديات وبهذا الصرف يعطى راتب العسكر باصنافه (المسألة السادسة) في قيمة الكسوة وآلات الحرب اما كسوة الجوخ فالسروال قيمته ستة عشر ريالاً والغليلة وهي المنتيان قيمتها خمس ريالات والصدرية ستة عشر محمدية واما كسوة الكتان فالكبود قيمته اربع ريالات والسروال ثلاث ريالات وثمان محمديات والقميص ريالان الا ستة محمديات والشاشية وهي الطربوش عشرون محمدية والبلغة وهي المداس على حسب سعر السوق واما آلات الحرب فالبلاصكه وهي نعل الفشك ريال واحد والحزمة ثمانية عشر محمدية والبندقية اي البارودة بتمامها عشرون ريالاً وقيمة العالية وهي السنكى ثلاث ريالات والسكين وهي السيف احد عشر ريالاً (تنبيه) اذا اضاع الجندي شيئاً من الكسوة وآلات الحرب في الحرب او في حال تعلمه فلا ضمان عليه وكذلك الخيال اذا اتلف الفرس او السرج او آلة حرب في حال القتال او تعلم الحرب فلا ضمان عليه ومن اتلف شيئاً مما ذكر في غير هذين الموطنين فانه يضمن ما اتلفه بالقيمة المذكورة واذا بلي شيء كالبلاصكه او الحزمة مثلاً فانه يجدد من بيت المال (المسألة السابعة) ان مولانا اوجب ان يكون رؤساء الجند باصنافه من ذوي النجدة والشجاعة والاقدام والقوة في الدين واليقين والصبر والثبات والفطنة والتنبه للمكائد الحربية لان الرئيس في العسكر بمنزلة القلب في الجسد اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله فلاجل ذلك لا تكون رئاسة العسكر والخيالة واصحاب الرايات الا باختيار مولانا ونظره لمن فيه هذه الخصال الحميدة ومن ثمت لا يكون العسكري سياقاً الا بعد ان يتولى في الرتب الصغيرة وتظهر نتائجه الا اذا كان ممن حمل الشيعة فانه يستوجب ان يتولى سياقاً من غير تدريج هذا اذا توفرت فيه الشروط واوجب نصره الله ان لا يكون احد الخيالة رئيساً على العسكر المشاة الا اذا كان من اهل الشيعة فانه له ذلك ان احتيج اليه واختاره الامير لمصلحة رآها فيه (المسألة الثامنة) قد جعل مولانا لمؤنة العسكر المحمدي ميزاناً معلوماً بالرطل ونصفه وجعل وزن الرطل ستة عشر اوقية وكل اوقية ثمانية اثمان وكل

ثمن مائتي شعيرة مقصوصة الاطراف وان لا يكون الكيل وآلة الوزن الا بختم الامارة وعين نصره الله لكل عسكري رغيفاً وزنه نياً عشرون اوقية ونضيجاً ثمانية عشر اوقية واثنى عشر اوقيــة من البرغل وستة اثمان من السمن فان فقد الخبز فرطل بقسماط مكانه فان فقد امعاً فانه يعطى من البرغل بدلها وعين للعسكر السمن في الصيف والزيت في الشتاء

القوانين

❊ القانون الاول ❊

لرئيس العسكر المحمدي وهو الآغة اثنان وعشرون ريالاً راتباً شهرياً لا ينقص له من هذا العدد شيء وله في كل يوم ثلاثة ارغفة احدها من الخبز الابيض الخاص والاخران من الخبز الاسمر او خمسة ارطال بقسماط عند فقد الخبز وله ستة ارطال من البرغل في كل ليلة ونصف رطل سمناً وخمسة ارطال حطباً وله مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم خميس واثنين شاة وله كسوة تامة من بيت المال وان بليت فانها تجدد له بالثمن فثمن المنتان وهو الغايلة ثمانيــة وعشرون ريالاً جزائرياً وثمن السروال اربعة واربعون ريالاً وثمن القميص ريال واحد

❊ القانون الثاني ❊

للسياف اثنا عشر ريالاً في الشهر وله في كل يوم رغيفــان احدها ابيض والثاني من مطلق الخبز او رطلان ونصف بقسماط ان لم يوجد الخبز وله في كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً ومثل ذلك في النهار ان لم يوجد خبز ولا بقسماط وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ربع شاة وكسوته تجدد بالثمن

❊ القانون الثالث ❊

لرئيس الصف ثمان ريالات راتباً شهرياً وله رغيفان في كل يوم او رطلاً بقسماط وله من البرغل رطل ونصف في كل ليلة وان فقد الخبز والبقسماط يعطى في النهار مثل الليل وله من اللحم في كل خميس واثنين نصف ربع الشاة والمقته

ست ريالات ونصف شهرية وله في الخرج مثله وكسوتهما تجدد بالثمن

القانون الرابع

لباش كاتب العسكر اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان احدهما ابيض والآخر اسمر او رطلان من البقسماط ورطلان من البرغل في كل ليلة واوقيتان من السمن وله مثل ذلك في النهار عند فقد الخبز والبقسماط وله في كل يوم خميس واثنين ربع شاة ورطل حطب في كل يوم وليلة ووظيفة هذا الباش كاتب كتابة امور الجيش كالرواتب والاكسية والديون التي تترتب في ذمة افراد العسكر وقرائة القانون وقت الحاجة ومن وظيفته ايضاً انه يجمع ما تحته من الكتاب ويعلمهم فرائض الغسل والوضوء والتيمم والصلاة والصوم وعقائد التوحيد كما ان كل واحد من هؤلاء الكتاب يعلم المائة التي هو كاتب عليها جميع العبادات والعقائد ويؤذن للصلاة ويصلي اماماً كما ان الباش كاتب يجب عليه ان يعلم الآغة وظائف الدين ويؤمه في الصلاة وقد اوجب مولانا علي العسكر ورؤسائه ان يحترموا هؤلاء الكتاب ورئيسهم ومن اهان احدهم فانه يعاقب العقوبة الشديدة

القانون الخامس

لكاتب المائة سبع ريالات في كل شهر وله في كل يوم رغيفان من مطلق الخبز او رطلان من البقسماط وله في كل يوم خميس واثنين نصف ربع الشاة من اللحم وكسوة الكتاب جميعاً ان بليت تجدد بالثمن

القانون السادس

لحامل الراية المحمدية سبع ريالات في كل شهر وله رغيفان من الخبز الاسمر او رطل بقسماط ان فقد الخبز وباقي الخرج فهو فيه مع رايس العسكر ولا يكون حامل الراية الا من اهل النجدة والشجاعة والجرأة وينزل مع الرئيس في محله

القانون السابع

للطباخ ريالان في كل شهر وله جلود الشياه التي يذبحها

﴿ القانون الثامن ﴾

لمعلم الحرب اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان من مطلق الخبز او رطل ونصف من البقسماط عوضاً عنهما ان نقد الخبز وله في كل ليلة رطل من البرغل واوقية من السمن وربع شاة من اللحم ولا يكون المعلم الا واحداً عند كل رئيس ويكون نزوله مع السياف

﴿ القانون التاسع ﴾

لرئيس الطنبور سبع ريالات ونصف في كل شهر وله رغيفان كل يوم من مطلق الخبز او رطلان بقسماط وينزل مع الرئيس

﴿ القانون العاشر ﴾

لمطلق العسكر المحمدي اعني لكل فرد منهم ست ريالات في كل شهر وله رغيف او رطل بقسماط ولسائر اهل الخباء اي الخيمة في كل ليلة خمس وعشرون رطلاً برغلاً ورطل ونصف رطل سمناً ومثلها زيتاً في فصل الشتاء وعند نقد السمن ولهم من الحطب خمسة عشر رطلاً سواء كانوا في سفر او حضر ولهم خمس وعشرون رطلاً من البرغل ان فقد الخبز او البقسماط والمائة منهم لها في كل يوم خميس واثنين خمس شياة يقسمونها على الاخبية هذا تمام المؤنة واذا نقص من المائة او اهل الخباء فانه ينقص لهم من هذه الاشياء كلها بقدر ما نقص من الاشخاص

﴿ القانون الحادي عشر ﴾

لجاويش العسكر سبع ريالات شهرياً وهو مثل العسكري في كل شيء وامره بيد الآغة اي رئيس العسكر المحمدي تولية وعزلا

﴿ القانون الثاني عشر ﴾

لرئيس الخيالة تسعة عشر ريالاً في الشهر وله رغيفان احدهما ابيض والآخر اسمر وله اربعة ارطال من البرغل واربع آواق سمناً في كل وقت اعني ليلاً ونهاراً واربعة ارطال من الحطب في الليلة ومثل ذلك كله من البرغل والسمن والحطب ان فقد الخبز والبقسماط

﴿ القانون الثالث عشر ﴾

لسياف الخيالة تسع ريالات في كل شهر وستة عشر محمدية وله رغيف واحد ابيض وله نصف ربع الشاة من اللحم في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون الرابع عشر ﴾

لكل خيال سبع ريالات في كل شهر ولكل واحد منهم في كل يوم رغيف اسمر او رطل بقسماط عوضاً عنه وللخمسين خيالاً في كل خميس واثنين شاتان ونصف شاة ولهم في كل ليلة سبعة وثلاثون رطلاً من البرغل ومن السمن رطلان وربع ولهم مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط ولهم من الحطب عشرون رطلاً وينقص لهم من اللحم والسمن بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون الخامس عشر ﴾

باش طوبجي اربعة عشر ريالاً في كل شهر وله في كل يوم رغيفان احدهما ابيض والآخر اسمر و رطلان من البقسماط عند فقد الخبز وله ثلاثة ارطال من البرغل في كل ليلة وثلاثة آواق سمناً ومثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط وثلاثة ارطال حطباً ومن اللحم ربع شاة في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون السادس عشر ﴾

عين مولانا كما سبق لكل مدفع اثنى عشر جندياً ستة يقاتلون وستة يرتاحون وعليهم رئيس وهو الثالث عشر سماه رئيس المدفع ولهذا الرئيس كل يوم رغيفان من الخبز الاسمر وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ثمن شاة وباقي الخرج والمرتب فكالعسكر

﴿ القانون السابع عشر ﴾

كاتب الطوبجية مثل كاتب المائة في كل شيء

﴿ القانون الثامن عشر ﴾

لكل واحد من الطوبجية ستة ريالات ونصف في كل شهر وله رغيف واحد

اسمر في كل يوم او رطل بقسماط ولهم من البرغل واللحم والسمن والحطب مثل ما للعسكر واذا نقصوا ينقص لهم من الخرج بقدر ما ينقص من عددهم

❋ القانون التاسع عشر ❋

ان معلم الطوبجية في الايام التي يتعلم العسكر فيها الحرب لا بد ان يكون مقابلاً بالانفار والمدافع للعسكر و يتحاربون كما يفعلون مع العدو لاجل التدريب والتمرين

❋ القانون الموفي عشرين ❋

ان ربط الفشك وتذويب الرصاص انما هو على الطوبجية في كل محلة اي عرضي لانهم احق بذلك واذا كثر عليهم الشغل يستعينون بالعسكر

❋ القانون الحادي والعشرون ❋

ان العسكري البعيد الدار اذا طلب التسريح الى اهله واخذ الرخصة فيه فان بارودته تبقى محفوظة عند السياف وكذلك العسكري المريض الذي يكون في المستشفى

❋ القانون الثاني والعشرون ❋

المؤنة انما تجري على العسكر والخيالة والطوبجية ورؤسائهم في السفر والحضر ما داموا في الخدمة فان كانوا مسرحين بالرخصة في بلادهم عند اهاليهم فلا شيء لهم منها البتة

❋ القانون الثالث والعشرون ❋

لا يرخص لاحد من العسكر او الخيالة او الطوبجية ان يأخذ شيئاً من المؤنة الا بحضور باش كاتب العسكر وباش كاتب الخيالة وباش كاتب الطوبجية ومن تخلف من هؤلاء الكتاب عن الحضور في الوقت المعين لهم يعاقب و يشهر عقابه

❋ القانون الرابع والعشرون ❋

ان من اعتناء مولانا بجنده انه ابتنى لهم في كل محل يتعينون فيه مستشفى وهيأ فيه للمريض جميع ما يحتاج اليه من اكل وشرب وفراش وغطاء وخدمة من افراد العسكر بشرط ان يكونوا ذوي نباهة وآداب وطلاقة وجه واتساع خاطر حتى لا تضيق نفوس المرضى منهم وعين في كل مستشفى طبيباً ماهراً وجميع ما يلزم من الادوية يأخذ ثمنه من بيت المال والخدمة اذا تعلموا صناعة الطب والتمريض وشهد لهم الاطباء بالمعرفة التامة فان مرتباتهم يزاد فيها على حسب تفاوتهم في المعرفة ومن

شانهم ان يقوموا بتمريض المرضى في حال السفر والحضر وجميع نفقاتهم من بيت المال وجعل لرئيس الاطباء كسوة من الجوخ الجيد تامة واثني عشر ريالاً في كل شهر وله في كل خميس واثنين من اللحم ربع شاة وله رغيفان من الخبز الابيض في كل يوم او رطلان من البقسماط وفي كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً او زيتاً عند فقد السمن وكذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم ثلاثة ارطال حطباً انتهى تقييد المسائل والقوانين التي هي في الحقيقة اصول ولها فروع كثيرة مذكورة في غير هذا المختصر

الخاتمة في انواع الجزاء

اوجب مولانا على رئيس العسكر وهو الآغة ان يتفقد عدد العسكر وكسوته وسلاحه وجميع آلات الحرب في كل يوم سبت وان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر يحبس عشرين يوماً واوجب عليه ان لا يأخذ من العسكري ولا من السياف ولا من كبير الصف ولا من غيرهم محمدية واحدة وان لا يغش في شيء من الخدمة وان ثبت عليه شيء من ذلك فان اسمه يمحى من الديوان العسكري ويطرد ويهان واوجب نصره الله على السياف ان يتفقد ما تحت يده من العسكر في كل يوم اثنين وخميس فان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر فانه يحبس عشرة ايام وان وجد في سلاحه فساد لم يصلحه فانه يحبس خمسة ايام واوجب عليه ان لا يظلم احداً من العسكر وان لا يأخذ منهم شيئاً وان لا يغش في الخدمة ولا يخون فان فعل شيئاً من ذلك وثبت عليه فانه يحبس ستين يوماً ويجب عليه ان يطيع الاوامر الاميرية ولا يخالف في شيء ما واوجب على كل سياف من سيافي العسكر ان لا يركب في يوم الحرب ولا في يوم تعليمه وانما يكون مع المرؤس عليهم ماشياً ليرتب صفوفهم للقتال او التعليم ويشجعهم وهو المتكفل بسلاحهم وهو المسئول عنه بالنسبة لمن فوقه فلا بدّ ان يتفقده ويعده والا فانه يضمن ما فقد منه واذا مات العسكري او غاب بالرخصة وكانت البارودة في يده فانه يأخذها منه ويدفعها الى الخليفة ويأخذ منه سنداً فيها تبرئة له من الضمان فان غابت ولم يأخذ فيها سنداً فانه يضمنها واوجب على رئيس الصف ان يتفقد ما تحت حكمه من العسكر كل يوم صباحاً ومساء وذلك ان يصفهم ويقف الكاتب معه والدفتر في يده فيسمي افراد العسكر واحداً واحداً وكل من ذكر اسمه يجيب فان ذكر اسماً ولم يجبه احد يعلم ان المسمى غائب فحينئذ

ينظر في امره فان كانت غيبته لعذر مقبول فلا باس عليه والا فانه يطلب ثم يحبس يوماً وليلة ومن انف من الخروج للتعليم فانه يحبس يوماً وليلة وان تخلف السياف والكاتب او كل منهما عن الحضور للتعليم فانهما يحبسان ستة ايام واوجب على الجندي طاعة سيافه والقيام بامر العسة واوجب على عموم العسكر طاعة عموم روءسائهم فمن عصى رئيسه في شيء فانه يحبس خمسة عشر يوماً ومن سمع الطنبور لتعلم الحرب ولم يجب فانه يحبس يومين ومن سمع الطنبور يدعو الى الخروج الى القتال ولم يخرج فانه يحبس شهراً ومن خرج للتعليم او القتال في غير الكسوة الاميرية فانه يحبس يوماً وليلة وكذلك الآغة والسياف ورئيس الصف ومن ترك الوسخ على سلاحه او كسوته فانه يحبس ثلاثة ايام ومن اتلف شيئاً من سلاحه او افسده في غير يوم الحرب او تعليمه فانه يضمن قيمته كما تقدم في المسائل ومن هرب من الخدمة العسكرية ورجع باختياره فانه يحبس على قدر الايام التي غاب فيها ومن هرب وقبض عليه بامر الامير فانه يحبس على حسب اجتهاد الامير ومن اطلق طلقاً واحداً من بارودته ليلاً او نهاراً لغير مصلحة فانه يحبس يوماً وليلة واذا نام العسكري في العسة القائم بها فانه يحبس ثمانية ايام واذا باع العسكري شيئاً من البارود وثبت عليه ذلك فانه يحبس شهراً واذا كان العسكري المذنب مسافراً فانه يضرب بالسوط على قدر الايام التي يحبس فيها قانوناً وجميع ما يلزم رئيس العسكر المحمدي ويجري عليه يلزم رئيس الخيالة ويجري عليه وكل ما يلزم العسكري يلزم الخيال وكل ما يلزم سياف العسكر يلزم سياف الخيالة وان ركب الخيال فرسه من دون موجب فانه يحبس يوماً وليلة وما يجري على العسكر يلزم سائر الطوبجية ويجري عليهم وما يجري على السيافين يجري على باش طوبجي وان عمل احد روءساء العسكر او الخيالة او الطوبجية ما يستوجب العزل فانه ينحط عن رتبته الى رتبة عسكري ويلبس لباسه وكسوة الجوخ ترجع الى بيت المال وان وجب حكم من الاحكام السابقة على افراد العسكر فان روءساء الصف هم الذين يتولون نفوذ الحكم القانوني فان السياف يحكم عليه بحسب القانون الذي يخصه وان فرط رئيس العسكر في نفوذ الحكم القانوني فان مولانا او خليفته يعاقبه حسب القانون وان فعل العسكري خصلة حميدة في حال الحرب فانه يحوز الشيعة المحمدية ويستوجبها على الهيئة المذكورة في المسائل ويحوز حرمة فوق السيافين واذا فعل رئيس العسكر مزية فانه يحمل الشيعة اللائقة والشيعة نيشان صورة يد مفتوحة الاصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب ﴿ ناصر الدين ﴾ تربط على الراس فوق

الاذن اليمنى ولحاقها في كل شهر خمسة وعشرون ريالاً ويجب احترامه على الجميع وهكذا الخيالة ورؤساؤهم فمن عمل بمقتضى هذه القوانين وبما ذكر في المسائل فقد فاز في الدنيا والآخرة ونال من الله تعالى الرضى وزيادة فيجب على من سمع ما ذكرناه ان يطيعه ويعمل به ويذعن له ويرضى به والله ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق حرر في اواخر جمادى الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف

رسم احد خيالة جيش الامير